الفصل الرابع

التجار وتجارة الأندلس

لقد أُخذتْ معارفنا عن جماعات التجار، سواء أكانت دينية أم غير ذلك، من خلال المعلومات المبعثرة عن التجارة الإفرادية مع الموانئ الأندلسية. وقد تعرفنا إلى بعض هؤلاء الرجال، إثر ظهور أسمائهم في كتب التراجم والحوليات والرسائل بصورة مقتضبة، أو ظهورهم كمساهمين في العقود التجارية. وقد حدث أن هؤلاء الناس قد ظهروا في أكثر من سجل، ولكن في حالات نادرة كما هي الحال في وثائق رجال أعمال الجينيزا الشهيرة أو المستثمرين الجنويين الأثرياء. ومن النادر، إن لم يكن مستحيلاً معرفة المزيد عن حياتهم أو نشاطاتهم أو مغامراتهم التجارية الخاصة من خلال الوثائق.

ومع ذلك فإن المراجع المنعزلة عن التجارة الإفرادية يسرت لنا رسم صورة كبيرة لتجارة الأندلس. فقد كان هؤلاء هم الرجال الذين حملوا البضائع وجابوا الطرقات بين موانئ الأندلس والمناطق الأخرى من عالم البحر الأبيض المتوسط. وتكشف تحاليل أنشطتهم التجارية عن نقاط مهمة متعددة. أولاً؛ لقد تعاطى التجار بتجارة الأندلس بصورة دائمة، ولم يكن هناك دور أو زمن وهنت فيه التجارة بصورة ملحوظة. فقد تاجر الناس في العصر الإسلامي المبكر، أي منذ القرن الثامن ومن خلال موانئ الأندلس، واستمر نقل البضائع خلال فترة الانتصارات الاسبانية المسيحية في القرن الثالث عشر. من جهة أخرى، حتى عندما استقرت الأعمال التجارية، فإن

هوية جمهور التجار تبدلت خلال الزمن. ويبدو أن حجم أعمالهم التجارية يتفاوت مع تقلبات النظام السياسي، وسلامة الملاحة البحرية، وتقدم إعادة الفتح المسيحي.

وقد تاجر المسلمون واليهود الأندلسيون خلال البحر الأبيض المتوسط جنوباً، في عهد أنظمة الأمويين ودول الطوائف والمرابطين، في حين جاء تجار من مناطق أخرى من العالم الإسلامي، وبصورة منتظمة بقصد المتاجرة مع الموانئ الأندلسية. وبالمقابل، كان للمسيحيين دور صغير في تجارة الأندلس قبل أواسط القرن الثاني عشر، حيث ان نمو المصالح التجارية البحرية الإيطالية قد أغرى التجار الجنويين والبيزيين والبروفنسال بشبه الجزيرة وتجارتها. وقد ازدهر هؤلاء المشاركون الجدد في تجارة الأندلس وبدلوا بصورة تدريجية ميزان النشاط التجاري لصالح المسيحيين. وقد ساعد على نجاح التجارة المسيحية، بجزء منها الدعم الذي حصلت عليه بعد وصول سلالة المرابطين الجديدة، ومنذ أن منحتْ المعاهدات الموحدية . الإيطالية تخفيضات على التعرفة، وضمنت سلامة وصول المشحونات التجارية الإيطالية إلى موانئ الأندلس والمغرب المخصصة لذلك. وقد بدأ المسيحيون بالتجارة في الأندلس، في الزمن نفسه، الذي أدى فيه التعصب الديني الموحدي إلى تضاؤل النشاط التجاري اليهودي في شبه الجزيرة. وغدت سجلات ووثائق التجار اليهود في الأندلس قليلة بعد سنة 1150 تقريباً، حيث أن كثيراً من اليهود بدلوا اتجاه أعمالهم التجارية إلى الشمال إلى الأسواق المسيحية أو نحو شرق البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندي.

وإن هذين العاملين، أي الحضور الجديد للتجار المسيحيين وتقلص النفوذ التجاري اليهودي يتطلبان وضع حد فاصل في بنية التجارة الأندلسية في وسط القرن الثاني عشر. وكان التبدل المهم والثاني في وسط الجمهور التجاري الأندلسي قد جاء بعد قرن آخر من الزمان، عندما قضت الإنتصارات المسيحية فعلاً على الوجود التجاري اليهودي والإسلامي في

الأندلس، تاركة فراغاً، سرعان ما مَلأه التجار الطليان، ومن ثم انضم إليهم التجار القشتاليون أو القتلان/الكتلان. ومع الابقاء على المسألة التأريخية لتوزع التجار والسلطة، فإن هذا الفصل يعالج أولاً عهد السيادة الإسلامية اليهودية التجارية قبل منتصف القرن الثاني عشر، ثم بلغت إلى عهد تعاظم الهيمنة المسيحية بعد سنة 1150.

التجار وتجارة الأندلس حتى 1150 تقريباً

المسلمون:

لقد قدمت المصادر العربية معلومات متفرقة عن الأفراد المسلمين النشيطين في تجارة الأندلس، وسبق أن دلت هذه المصادر على أن نهاية عصر الريادة الأموية في قرطبة كان عهداً خصيباً للأنشطة التجارية في الأندلس. وإن تمركز السلطة في سلالة عبد الرحمن الثالث (961 - 912) قد اجتمعت مع الاستقرار الاقتصادي وإنتاجية شبه الجزيرة في القرن العاشر، لتؤدي إلى قيام تجارة دولية وأمن تجاري. وقبل هذا الزمن كانت المعلومات منقطعة بحيث تبين مستوى التجارة وفعاليتها.

ولكن تغدو البراهين أكثر متانة في القرن العاشر عندما ذكر الجغرافيون وكتاب آخرون حركة مرور التجار الأندلسيين خلال العالم الإسلامي. ويشير ابن حوقل إلى متاجرة أندلسية في طبرقة Tabarca، وإلى وجود تجمع تجاري أندلسي في طرابلس. وذكر عيسى بن أحمد الرازي رجل أعمال آخر هو محمد بن سليمان الذي استخدم الطريق نفسه بين الأندلس وأفريقيا سنة 972[1]. وربما اشتغل ابن حوقل نفسه تاجراً بين شبه الجزيرة وشمال أفريقيا،

(1) Ibn Ḥawqāl, Kitāb surat al-arḍ، ابن حوقل، كتاب صورة الأرض [ed. J. H. Kramers, Leiden, 1938], p.78. See also C. Courtois, "Remarques sur le commerce maritime en Afrique au Xle siècle," Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'occident musulman: Hommage à Georges Marçais. Algiers, 1957, p.54. Rāzī, Anales palatinos del califa de Córdoba al-Hakam II, por Isa b. Ahmad al-Razi, trans. E. Garcia Gomez, Madrid, 1967, p. 110.

عندما جاء إلى الأندلس ممثلاً أو وكيلاً للفاطميين، كما أن الرازي يتحدر من عائلة تجارية[2]. وفي الزمن نفسه تقريباً، شحن الأندلسيون البضائع إلى شرق المتوسط وما بعد. وقد ذكر ابن حيان أن العالم عبدالله بن مسرَّة Massara اشتغل تاجراً عندما كان شاباً (ولد سنة 88)، متنقلاً مع أخيه من أجل أعمال تجارية في المشرق قبل أن يؤدي إلى العلم[3]. وهناك تاجر عالم آخر هو أبو بكر محمد بن معاوية المرواني (متوفى 968)، وصل إلى أسواق العراق والهند حيث تمكن من جمع، 30,000 دينار من التجار قبل أن يفقد كل شيء إثر غرق سفينة وهي في طريق عودتها إلى بلاد الأندلس. وبخلاف بعض زملائه التجار فالمرواني جدير بالملاحظة، لأن اسمه يعطينا بعض المعلومات عن عائلته وحالتها الاجتماعية. فهو لم يكن مسلماً وعربياً وحسب، بل كان أحد أعضاء العائلة الأموية الحاكمة أيضاً، وعلى الرغم من التركيب المختلط لمجتمع الأندلس في القرن العاشر، فإن هذا النسب يعطي بعض الأهمية[4]. إن جامعي التراجم والسير بما فيهم ابن الفرضي وابن بشكوال وابن عربي قد ذكروا كثيراً من الأندلسيين الذين تنقلوا وتاجروا في سورية ومصر والمشرق عامة خلال أواخر القرن التاسع والقرن العاشر[5]. وكان بعضهم لم يصل قطراً

---

(2) محمد بن موسى الرازي اشتغل كتاجر خلال عهد الأمير محمد الأول (852-886) Ibn. Hayyān, Muqtabis. ed. M. 'A. al-Makkī, Beirut, 1973 II, p. 267. See also A. I. Rozi, "The Social Role of Scholars ('Ulama) in Islamic Spain." Ph.D. Dissertation, Boston University, 1983, p. 358.

(3) Ibn Hayyan, Muqtabas. V. eds. P. Chalmeta, F. Corriente, M. Subh, Madrid, 1979, p. 35.

(4) ابن الفرضي، كتاب تاريخ علماء الأندلس Ibn al-Faradī, Kitāb ta'rikh 'ulama' al-Andalus. ed. F. Codera, BAH, Madrid, 1890, p. 363, #1287.

(5) Ibn al-Faradi, Kitāb, pp. 51-2, #181; p. 53, #184; pp. 68-9, #235; pp. 130-1, #453; pp. 179-80, #650. Ibn Bahkuwāl, Kitāb al- Sila fi ta'rīkh al-immat al-Andlus. Cairo, 1955. P.31; p. 456, #1042 (no date). Ahmad al-Dabbī, Bughyat al-multamis fi ta'rikh rijal ahl al-Andalus, ed. F. Codera, BAH, Madrid, 1885, pp. 186-7, #455.

ابن بشكوال، كتاب الصلة في تاريخ الامامة الاندلسية، أحمد الضبي، كتاب بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس Ibn al-'Abbar, Kitab al-takmila li-Kitab al-sila . ابن =

أبعد من ذلك. فقد رحل صالح بن محمد المرادي (توفي 914)، وهو تاجر من هييوسكا Huesca، إلى مكة حاجاً، عندما سرقت بضائعه في القيروان، فبقي دون مال وكان عليه ان يبدل طريقه ويعود إلى الأندلس[6]. وعلى الرغم من حاله التعيس، كان مصيره أفضل من تاجر مسلم آخر توفي في القيروان عام 862 كما تبين شاهدة قبره[7].

وتابع التجار العلماء ارتحالهم خلال أوائل القرن الحادي عشر، بعد ذروة السيادة الأموية بقليل. وقد ذكر ابن الأبّار قرطبياً توفي في بلنسيا سنة 1028، وسجل ابن بشكوال معلومات عن تاجرين أندلسيين من مدينة إشبيلية، كانا نشيطين في ذلك الزمن. كان أحدهما من أصل عربي (يحمل اسم القيسي)، وذكر أنه «جال خلال زمن ما خلال البلاد الإفريقية والأندلسية باحثاً عن المعرفة والتجارة» قبل وفاته سنة 1033. أما الثاني فلربما كان ذا ثقافة بربرية، وكان هو الآخر قد باع واشترى في أفريقيا[8].

ومقابل تلك الروايات عن الأندلسيين المرتحلين تتضمن التراجم مراجع قليلة عن التجار العلماء المشرقيين الواصلين إلى موانئ الأندلس خلال العهد الأموي. كان ذلك لأن العلماء المشرقيين، وبخلاف الأندلسيين المسافرين نحو المشرق ينقصهم إضافة دافع الحج لإغرائهم للتوجه نحو الغرب. وقد

= العبار، كتاب التكملة لكتاب الصلة ed. F. Codera, BAH, Madrid, 1886 I, p. 96, #320 ذكر ابن بشكوال مزيداً من القرطبيين، ربما من هذا الدور، الذين لم أضمهم إلى هؤلاء السبعة حيث أن المؤلف لم يقدم تاريخاً، ويذكر اسمه، وليس بالضرورة مهنته كتاجر (p. 492, #1135).

(6) Ibn al-Faraḍī, Kitāb, pp. 167-8, #600.

(7) B. Roy, P. Poinssot, and O. Poinssot, Inscriptions arabes de Kairouan. Paris, 1950. p. 114.

(8) يذكر ابن العبار خالد القرطبي كتاجر (Takh-mila, I.p.59. #187). أرجع ابن بشكوال إلى نزار بن محمد بن عبدالله القيسي ومروان بن سليمان بن مرقّط الغافقي توفي1027.

Kitāb al-ṣila p. 606, # 1407; P.581, # 1347.

نوه ابن الأبّار إلى تاجر مشرقي هو محمد بن موسى الذي عمل في الأندلس وتوفي سنة 1886. وذكر ابن الفرضي فيما بعد، تاجراً عاش في سبتا Ceuta في القرن العاشر، وهو الذي عاش لفترة على حدود الأندلس بعد رحلات واسعة خلال شمال أفريقيا والمشرق، متكسباً عيشه كتاجر وكجندي[9]. وذكر ابن بشكوال أيضاً، أن بغدادياً تاجراً. عالماً وصل إلى الأندلس سنة 966، ثم ذكر اثنين آخرين (كان أحدهما مشهوراً جداً بفهمه في المسائل التجارية) كانا قدما من مصر والقيروان في بواكير القرن القادم[10].

وقد وصل أناس من غير العلماء من المشرق إلى إسبانيا للمتاجرة في أسواقها الأموية. وقد أطرى هسداي بن شبروت Hasday b. Shaprut على غنى طبيعة الأندلس، عندما كتب خلال عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث، ووضع جدولاً للتجار الذين احتشدوا في شبه الجزيرة من أجل التجارة. وذكر من بينهم، بخاصة، المصريين (الذين حملوا العطور، والحجارة الكريمة، ومواد رفاهية أخرى) «وطرود التجار من خراسان»[11]. وفي خلال الفترة نفسها، جاء أحد الإسماعيليين (وكذلك الجغرافي ابن حوقل المذكور سابقاً) لنشر التشيع، على الرغم من أن القاضي ابن سهل، من القرن الحادي عشر،

---

(9) Ibn al-'Abbar, Takhmila, I, P. 366, #1048; Ibn al-Faradī, Kitāb, p. 61, #1604.
لا يوجد تاريخ لهذا الرجل الثاني يحيى بن خلف الصدفي، من الممكن افتراض أنه عاش خلال القرن العاشر كالذين ذكروا من قبل ابن الفرضي.

(10) الرجال الثلاثة المذكورون من قبل ابن بشكوال هم عبد العزيز بن جعفر البغدادي، كتاب الصلة، وعبد الرحمن بن محمد المصري الذي وصل إلى الأندلس من مصر في 4 . 1003، (Kitāb al-ṣila, pp. 356-7, #802).
ومحمد بن القاسم القروي الذي جاء إلى الأندلس في حوالي 1010، (Kitāb al-ṣila, pp.564-5 # 1309).

(11) W. Heyd, Histoire du commerce du Levant au moyen âge. Leipzig, 1885, I, p. 49; D.M. Dunlop, The History of the Jewish Khazars. Princeton, 1954, pp. 134-5.
كان هناك جدل كبير حول مصداقية مراسلات هسداي. واعتبر دنلوب Dunlop أن الرسائل قد كُتبت من قبله وهي أصلية على الرغم من أن الأجوبة ربما وضعت فيما بعد (P. 120 ff).
وليس من المؤكد أن هؤلاء التجار كانوا مسلمين، ولكن بما أن هسداي توجه إلى قراء يهود فهو يشير إلى كونه من دينهم.

قد ذكر أنهما يخفيان أهدافهما الحقيقية بحجة أنشطة قانونية مثل التجارة، أو العلم أو طريق التصوف[12]. وفي حوالي نهاية العهد الأموي، في زمن العاهل المظفر (1002 ـ 1007)، سجل ابن حيان في الأندلس وجود تجار أجانب من مصر والعراق ومناطق أخرى[13].

وقد انخرط عدد من رجال الأعمال الإسبان المسلمين في التجارة مع موانئ المغرب، ولكن المراجع قليلة حول الأندلسيين الذين ذهبوا أبعد من ذلك، وقد كتب الجغرافي البكري ذاكراً ظهور تجار أندلسيين في المهدية سنة 1060 وقدم الطرق والمسالك المتنوعة والمفصلة لعبورهم القناة بين الأندلس وشمال أفريقيا[14]. وقد عثر أيضاً على دلائل عامة أخرى على تجارة الأندلس مع المغرب في الوثائق القانونية، والأعمال الجغرافية من هذا العصر، ونعلم شيئاً من خلال عبور الرحالة التجار، عندما يسبب غيابهم اتخاذ إجراءات قضائية من قبل أفراد العائلة أو المعارف. وقد سجل ابن سهل عدداً من الدعاوى القضائية من هذا النمط، منها واحدة تؤرخ في سنة 1066، أن رجلاً جاء إلى القاضي في قرطبة بعد محاولة يائسة لتحديد مكان الشريك التجاري في فاس[15].

وزيادة على ذلك لا يوجد سوى معلومات قليلة جداً عن مسلمي إسبانيا التجار النشطاء في دول الطوائف وهذا أقل بكثير من نظيرها في العهد الأموي. وربما يعزى هذا التباطؤ الواضح في التجارة المحلية المسلمة إلى

---

(12) Ibn Sahl, Thalāth wathā'iq fi muḥārabat al-ahwā' wa al-bida' fi al-Andalus. ed. M.A. Khallaf Cairo, 1981, p. 44.
ابن سهل، ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس.

(13) Ibn Bassam, Dhakhira fi mahasin ahl al-jazira. ابن بسام، ذخيرة في محاسن أهل الجزيرة
Cairo, 1358/1939-1364/1945, IV/1. p. 65.

(14) Bakri, Description de l'Afrique septentrionale. ed and trans. M. de Slane, Paris, 1911, p. 67.

(15) Ibn Sahl, Ahkam al-kubra. General Library, Rabat, ms. 838 Q, fols. ابن سهل، الأحكام الكبرى 180-183-6، 189-90.

الاضطرابات السياسية وعدم الاستقرار الأمني في شبه الجزيرة في أوائل القرن الحادي عشر. وهناك نقص ملحوظ في المراجع عن التجار العلماء الأندلسيين يتعلق بهم وحدهم أكثر مما يتعلق بالتجار وغيرهم. وقد أظهرت دراسة حول رحلات العلماء (من أجل الحج او التجارة أو لأسباب أخرى) تفيد أن تحركهم كان قليلاً خلال السنوات 1040 - 1030[16]. ولربما افترضنا أن تبعثر سياسات دول الطوائف، وضرورة دفع الباريا أي الجزية قد أربكت البنية الاقتصادية القديمة، وعطلت الاتصالات، وعرقلت تجارة المسافات الطويلة. وعلى الرغم من أن اقتصاد الطائفة بدا غير مشجع لأنشطة المتعهدين المسلمين المحليين، فقد واصل التجار الأجانب سفرهم إلى موانئ الأندلس خلال القرن الحادي عشر، حتى عندما افرغت صناديق دول الطوائف بسبب دفع الجزية إلى عواهل الشمال الإسباني. فقد ضمنت العائدات التجارية من خارج البلاد ازدهار الأسواق الأندلسية، واستمرت حركة الموانئ. ومقابل ندرة المعلومات عن التجار العلماء المسافرين إلى المشرق، قدم ابن بشكوال معلومات شخصية غزيرة ومفاجئة عن التجار العلماء الواصلين إلى إسبانيا المسلمة بين سنوات 1041 - 1023. وتسجل تراجمه أسماء اثنين وعشرين أجنبياً تاجراً . عالماً على الأقل، ممن كانوا نشطاء خلال هذه الفترة القصيرة. وتتضمن معلوماته اسمين أجنبيين يتاجران في الأندلس في أواخر القرن. إن التجار المسلمين الذين ذكرهم قد قدموا بالترحاب، من مختلف أنحاء العالم الإسلامي. وكان قليل منهم من أصول بعيدة مثل اليمن والعراق. وقد جاء بعضهم من شمال أفريقيا، في حين أن الغالبية منهم جاؤوا إلى الأندلس من

---

(16) M.L. Avila وقد قدر أفيلا نسبة رحلات العلماء من خلال التراجم فكانت:

961 (29 بالمئة)؛ 970 (34 بالمئة)؛ 980 (38.4 بالمئة)؛ 990 (35.5 بالمئة)؛ 999 (38.4 بالمئة)؛ 1009 (37.6 بالمئة)؛ 1019 (36.5 بالمئة)؛ 1029 (34.6 بالمئة)؛ 1038 (23.4 بالمئة)؛ 1048 (24.1 بالمئة).

La sociedad hispano-musulmana al final del califato, aproximación a un estudio demográfico.

Madrid, 1985, p. 83.

سورية ومصر[17]. إن الزمن المتشكل هنا، مثير للاهتمام، ذلك لأن العشرين سنة المعنية توسع الفجوة بين نهاية سنوات السلالة الأموية وظهور أوائل دول الطوائف، وهو عصر مهيأ للاضطرابات بسبب الحرب الأهلية. وربما يتوقع المرء أن يرى تراجعاً في الأنشطة التجارية خلال هذا الدور كما توحي المعلومات القليلة نسبياً حول التجار الأندلسيي المولد. وقد سبق وأشارت معلومات ابن بشكوال إلى العلماء التجار المسلمين الذين استمروا في الوصول إلى أسواق الأندلس خلال هذا الدور من الاضطراب السياسي، وضعف رقابة الحكومة. هذا ومن المستحيل معرفة أسباب تضمن سجلات ابن بشكوال مثل هذا الكم الكبير من المراجع لهذه السنوات. وربما يعكس هذا تبدلاً في النشاط التجاري أو تنوعاً في مواد مصدر السير أو التراجم فحسب. وربما كانت معلوماته، ولسبب ما، أكثر فهماً لهذا الدور، ومن ثمّ فإن هذه الأعداد هي في الواقع مزيد من التفكير الصحيح حول التوزع السكاني للتجار، ويجب أن تؤخذ كنموذج للسنوات الأخرى.

ويبقى السؤال هو إذا كانت نشاطات التجار العلماء، تُؤخذ كممثل للاتجاهات العامة لجمهور التجار المسلمين. إذ ليس بالضرورة أن تبين مصادرهم الاتجاهات العادية. ففي أواخر القرن الحادي عشر مثلاً تقلصت الأدلة الشخصية عن العلماء، في حين تبين مصادر أخرى استمرار النشاط التجاري بين التجار المسلمين من غير العلماء. فإذا كان تقلص المعلومات يعكس تخفيضاً حقيقياً في رحلات العلماء التجار، فيجب أن يعزى هذا إلى أسباب غير تجارية، ومن الأرجح أن يكون السبب هو وصول سلالة

(17) Ibn Bashkuwal, Kitāb al-sila, entries 779, 652, 528, 674, 1314, 1406, 285, 957, 1311, 948, 1313, 1402, 1312, 269, 1366, 654, 960, 1400, 247, 1316, 1338, 1445.

لقد نظم السلم الزمني وفقاً لتاريخ وصول الرحلات إلى الأندلس وثبت الأصل وفق النسبة والعبارة التي يستخدمها ابن بشكوال عادة هي أنه وصل إلى الأندلس كتاجر في سنة. . . Kitāb al-ṣila, p. 602#1399.

ويذكر أيضاً تاجراً وصل من سورية سنة 1073.

المرابطين إلى الأندلس سنة 1086. إن السياسة الدينية والاقتصادية لهذا النظام موضع نقاش. ولكن عداءهم الشديد للنخبة الأندلسية المثقفة، ربما أدى إلى وضع رقابة أو حد لانتقال العلماء خلال الموانئ التي يسيطرون عليها. وربما كان حضورهم يفسر أسباب عدم ذكر ابن بشكوال سوى تاجرين . عالمين نشيطين في عهد المرابطين. أحدهما عراقي، انتقل إلى الأندلس سنة 1090 والآخر أندلسي من المارية توفي في سنة 1136[18]. ومثل ذلك ابن الأبار الذي لم يذكر سوى عالم مغربي متأخر (توفي سنة 1172) الذي زار الأندلس تاجراً؛ وآخر من دينيا وهو رجل أعمال، توفي سنة 1152[19].

وعلى الرغم من أن وصول المرابطين، ربما قد أثر في حركة التجار العلماء، فإن النظام الجديد، لا يبدو أنه أعان نشاطات التجار المسلمين العاديين. ويبدو من خلال المعلومات المتقطعة، أن الأعمال التجارية العامة قد استمرت دون هوادة في المدن الأندلسية، وتصف كتب دليل الأسواق بصورة واضحة إجراءات السوق الطبيعية في عهد المرابطين. وتشير إلى أن التجار المسلمين قد تابعوا الظهور في مصادر متنوعة. ويخبرنا حكم شرعي صدر عن القاضي مازري Mazari متوفى سنة 1140 يتعلق بمغربي باع بضائعه في الأندلس في بواكير القرن. ورَوَتْ رسائل الجينيزا العائدة للفترة بين 1140 - 1138 أن التجار المسلمين قد وصلوا إلى إسبانيا المسلمة من الإسكندرية وليبيا[20]. وتشير نقوش شواهد قبور ثلاثة من المارية مؤرخة في 1125 و1133 و1145 إلى وجود محل تجاري في النصف الأول من القرن الحادي عشر. وتبين العبارات القرآنية على شواهد قبورهم أن المتوفين كانوا جميعهم من المسلمين، وكان واحد منهم من أصل أندلسي كما يدل عليه

(18) Ibn Bashkuwal, Kitab al-sila, p. 599, #1391; p. 410, #927. يسجل هذا المؤلف اثنان غير أندلسيين وصلا إلى اسبانيا Kitab al-sila, p. 113, #264; p. 409, #924.

(19) Ibn al- 'Abbar, Takmila, p. 370, #1054; pp. 193-5, #669. ابن العبار، تكملة.

(20) H.R. Idris, La Bérberie orientale sous les Zirides. Paris, 1962, p. 678. Bodl d74. 41; TS 16.54.

نسبه وهو الشاطبي al-shātibi (من جاتيفا Jativa). وكان هناك تاجر آخر هو ابن حليف Ibn Halif من الإسكندرية، الذي يفترض أنه توفي في أثناء رحلة إلى الأندلس[21].

اليهـــود

وبعكس المعلومات المحدودة عن التجار المسلمين في تجارة الأندلس، فإننا نعلم أكثر حول نظرائهم اليهود، ويعود سبب هذه الغزارة النسبية بصورة كبيرة إلى سجلات جينيزا في القاهرة. وكما هو الحال بالنسبة لتجارة المسلمين يوجد اتجاهات واضحة في التأريخ لأنشطة اليهود التجارية. ومما يلفت النظر هو التناقض الظاهر في وجود التجار اليهود في أسواق الأندلس في وسط القرن الحادي عشر. ونعلم كثيراً عن تجار يهود أندلسيين بصورة شخصية، وكذلك نعلم شيئاً عن الشركات العائلية الواسعة، وشبكة التجارة القائمة بين اليهود الإيبريين. وخلافاً لهذه المواد الغنية، فغالباً لا توجد معلومات تتعلق بأعمال اليهود في تجارة الأندلس بعد سنة 1140 تقريباً. ويتصادف هذا التبدل في المعلومات مع وصول المرابطين ونظامهم إلى الأندلس سنة 1147، ومع صعود التجارة الإيطالية (حيث تؤرخ أقدم سجلات العدلية الجنوية في 1150). كما حدث هذا عندما صارت سجلات جينيزا أقل وفرة. ومن ثم، من الصعب معرفة وجود انخفاض في تجارة اليهود أو لا بسبب اضطهاد المرابطين أو المنافسة التجارية الإيطالية، أو بسبب آخر، أو أن هناك نقصاً في المصادر التي توثق حضور اليهود ليس إلا.

وقد سبق أن استقر اليهود استقراراً جيداً في شبه جزيرة إيبريا خلال دور الفيزيجوت، عندما ذكرت حضورهم نصوص عدلية، بصورة خاصة ملاكاً للسفن، ومشتغلين بتجارة الرقيق، وتجاراً بحريين[22].

---

(21) E., Levi-Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne. Paris, 1931, pp. 121-127, 116.

(22) Lex Visigothorum. ed. K. Zeumer, MGH Leges (in quarto) 1. 1, Hanover-Leipzig, 1892, XII, 2, 18, p. 427.

من جهة أخرى، إذا نظرنا إلى وجود تشريعات معادية لليهود في ذلك الزمن، فقد بدا معظم عواهل الفيزيجوت يبحثون عن إمكانية وضع حدود لميدان نشاط رجال الأعمال اليهود، وقد فرض الملك ايجيكا King Egica (687 - 702) حظراً اقتصادياً ثقيلاً على تجارة اليهود. وذلك على الرغم من أن انتشار التعصب الفيزيجوتي ضد يهود إيبريا قد كان مثار نقاش واعتراض، ولعل فَتْحَ المسلمين في سنة 711 قدم إطاراً أفضل لعيش اليهود[23].

ومن المرجح أن الحكم الإسلامي قد هيأ أجواءً مناسبة لنمو تجارة اليهود. وقد وصف ابن الخُرداذبْهْ الراذانيين الذين ينقلون البضائع بين الشرق والغرب، والذين كانوا يتحدثون لغات عدة (من بينها الأندلسية . وهي لهجة «رومانسية» إيبرية) ويحملون البضائع من كل صنف . بمن فيها «البنات الجواري الأندلسيات»[24]. إن أصل الراذانيين غير واضح، وقد اقترحت احتمالات عديدة، على أساس اسمهم الجماعي وتبعاً للطرق التي استخدموها. وهكذا، فنظراً لأن هذه الطرق تبدأ في فرنسا أو في شبه جزيرة إيبريا، ومن ثم تتقدم نحو الجنوب خلال المغرب ثم إلى مصر، فإن بعض العلماء قد خط أصول سكنهم إما في جنوب فرنسا أو في الأندلس[25].

---

(23) للمزيد عن اليهود في هذه الفترة أنظر:
S. Katz, The Jews in the Visigothic and Frankish kingdoms of Spain and Gaul. Cambridge, Mass, 1937, p. 22.

(24) Ibn Khurradadhbih, Kitab al-masalik wa al-mamalik. ابن الخرداذبْهُ، كتاب المسالك والممالك. ed. M.J. de Goeje, BGA, 2nd edn, VI, Leiden. 1967, pp. 153-5.
يقدم ترجمة انجليزية لهذا المقطع حول الراذانيين في: R.S. Lopez and I.W. Raymond
Medieval Trade in the Mediterranean World. New York, 1955, pp. 30-3.

(25) لقد فضل De Goeje و Ashtor و Cahen الأصل العربي للرذانيين، كما كان حال Lombard الذي اقترح أن اسمهم قد اشتق من نهر الرون Rhone في دراسته:
The Golden Age of Islam. Oxford, 1975, p.209.
ومن جهة أخرى فإن M.Gil قد فضل أن يكون العراق البلد الأصلي لهم. ن:
The Radhanite Merchants and the Land of Radan, (JESHO 17, 1974, pp. 299-328.

وإذا تركنا جانباً طرق الراذانيين هذه، فلا نعرف إلا القليل عن تجار الأندلس اليهود، قبل نهاية القرن العاشر، حيث ترك أحد الرحالة الأندلسيين وهو إبراهيم بن يعقوب الطرُطوشي al- Turtūshi قصة رحلته إلى إيطاليا وشمال أوروبا في حوالي العام 960. ويوحي اسمه، ودربه، ووصفه التفصيلي لتجارة أوروبا والبضائع أنه كان تاجراً يهودياً. ويعتقد العذري (المتوفى في سنة 1085) الذي حفظ اجزاءً من رواية إبراهيم أنه كان يهودياً، ذلك انه أضاف إلى اسمه عبارة الإسرائيلي[26]. وهناك يهود أندلسيون آخرون تاجروا خلال حدود إيبريا خلال الفترة نفسها. فقد طُلبت استشارة حاخام أندلسي، مثلاً، حول تاجر مضى على غيابه أكثر من ست سنوات في البلاد المسيحية، أو في إحدى الممالك الإسبانية على الأغلب[27]. كما سُئل حاخام آخر هو هنوخ بن موسى Hanokh من قرطبة (وتوفي في سنة 1014) حول مصير رجل غاب في «بلاد المسيحيين»[28]. كما عُهد إلى يهودي يدعى يعقوب بن يهوا Jaul وظيفة جامع الرسوم أو الضرائب من اليهود المنتشرين في أرجاء الإمبراطورية الأموية التي امتدت أقصى الجنوب إلى سجليمازا

---

(26) لقد حفظت بقية أعمال الطرطوشي لدى القزويني الذي أعطى اسمه بالكامل وهو ابراهيم بن أحمد الطرطوشي، وهو اسم مناسب لمسلم أكثر منه ليهودي (ومع ذلك يمكن أن يكون اسماً لمسلم من أصل يهودي). وليس من الواضح تماماً إذا كان اسما ابراهيم للعذري والقزويني هما حقاً للشخص نفسه. وقد بُحثت المسألة من قبل الحجي في مقالته:

A.A. El Hajji "Andalusia e Italia altomedievale", Rivista storica italiana 79, 1967, pp. 158-73. ويقترح الحجي أيضاً أن الطرطوشي ربما كان عبداً وتاجراً، وأيده في ذلك:

H. Mones. "Al Jughrafiya wa al-Jughrafiyun fi al-Andalus

الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس Madrid MDI 7-8 (1959 - 60), P. 220. وهناك مرجع آخر هو:

Andre Miquel, "L' Europe occidentale dans la relation arabe d'Ibrahim b. Ya'qub (Xe siècle). "Annales: ESC 21, 1966, pp. 1048-64.

(27) J. Muller, ed., Teshuvot geonei mizrah u- ma'arav (Responsen der Leherer des Osten und Westens. Berlin, 1888, repr. Jerusalem, 1966, no. 192.

كما ذكر Müller ذلك في: Die responsen der Spanischen Lehrer des 10. Jahrhunderts. Berline 1889, p. 37. no57; E. Ashtor, The Jews of Moslem Spain, Philadelphia, 1973-84, IP. 278.

(28) Müller, Teshuvot, #191.

Sijilmasa في زمن حكم هشام الثاني (976-1009). ويصف إبراهيم بن داود الذي روى هذه المعلومات في سفره Sefer ha-Qabbalah يعقوب وأخاه يوسف «تجاراً وصناع حرير»[29]. وربما أن مهمات يعقوب كإداري قد دُعمتْ من خلال علاقاته التجارية.

وقد أصبحت نشاطات التجار الأندلسيين اليهود أكثر وضوحاً في القرن الحادي عشر، وذلك بسبب المعلومات الواسعة المقدمة من قبل محفوظات جينيزا في القاهرة. ونظراً لطبيعة التفتت السياسي لشبه الجزيرة خلال عصر دول الطوائف، فمن الصعب التعميم فيما يتعلق بوضع عيش يهود الأندلس وشروطه، سواء أكانوا تجاراً أم غير ذلك. ولكن يبدو أن اليهود ازدهروا في النصف الأول من القرن، عندما صعد الوزير اليهودي الشهير صموئيل بن نغريلا (Naghrila المتوفى في سنة 1056) إلى السلطة في بلاط غرناطة، فقد كان ابن نغريلا تاجراً في دور من أدوار حياته ويشتغل بنفسه «بكل تواضع وواقعية تاجر توابل» في مدينة ملقا[30]. وقد هاجر اليهود أيضاً إلى الأندلس في القرن الحادي عشر. ونستخبر عن هؤلاء الناس من خلال أبنائهم مثل يوسف بن الشامي (توفي سنة 1141) وهو ابن مهاجر سوري، ومن خلال رسائل الطلبات المرسلة إلى الطائفة اليهودية في الأندلس[31]. وفي سنة 1066 وبعد عشر سنوات من موت ابن نغريلا حدث شغب دموي ضد يهود غرناطة. وعلى الرغم من أنه لم يحدث مثل ذلك الشغب في بقية دول الطوائف إلا أن أحداث غرناطة قد عكست مزيداً من انتشار الشعور بالعداء لليهود[32].

---

(29) Abraham b. Daud, Sefer ha-qabbalah (The Book of Tradition). trans. G.D. Cohen, Philadelphia, 1967, pp. 68-9.

(30) Abraham b. Daud, Sefer ha-qabbalah, p. 72.

(31) TS 10 J 24.4; see also Ashtor, Jews of Moslem Spain, III, p. 186. مثال على رسائل الطلبات التي نقلت والتي تعود للقرن الحادي عشر إلى طائفة اليهود في الجسيراس (الجزيرة) وهي أقدم المراجع المعروفة عن اليهود في هذه المدينة.

TS 13 J 36.13, "Documentos españoles de la Genizah," Sefarad 24, 1964, pp. 68-71.

(32) N. A. Stillman, "Aspects of Jewish Life in Islamic Spain," Aspects of Jewish Culture in the Middle Ages. ed. P. Szarmach, Albany, 1979, p. 69.

ولقد عثر على أوائل مراجع جينيزا عن تجارة يهودية فردية من الأندلس وإليها في مراسلات القرن الحادي عشر بين التاجر المصري يوسف بن حوقل وشركائه. وقد اختص رجل الأعمال ابن حوقل وشركاؤه بتجارة البحر الأبيض المتوسط على وجه الحصر، بما فيها التجارة مع الأندلس. وقد وظفت الشركة هذه عدداً من الوكلاء الأندلسيين في العقود الأولى من القرن الحادي عشر، بما في ذلك خلف بن يعقوب الأندلسي، الذي يبرز اسمه مراراً في مراسلات ابن حوقل، والذي يبدو أنه اشتغل وسيطاً تجارياً في المهدية. وذكر خلف في فاتوره شحن (كمبيالة) سنة 1015 كمية من الجلود لمصر، وأرسل هذا الأندلسي شحنة أخرى من الجلود في السنوات التالية (اعتبرت زمن تحضير قسم من رزم الحرير)، ويُظن أن صاحب الشحنة هو خلف أيضاً[33]. وقد أرسل، فيما يلي من متأخر الزمن رسائل مطولة وغير تجارية من باليرمو إلى المهدية تُطري على خلف وابنه، اللذين يتمتعان بخبرة هندسية لحصولهما على حقوق مركب غارق بما فيه من محتجزين يهود[34]. وهناك وكيل أو شريك أندلسي آخر لابن حوقل كان يتعامل بالحرير، ذلك لأن مسلمي إسبانيا كانوا المركز الرئيسي لإنتاج الحرير في البحر الأبيض المتوسط . ويرد في رسالة إلى ابن حوقل في مصر كتبت في تونس سنة 1010 : «لقد أرسلت الحرير إلى... أبي إبراهيم الأندلسي... وأبقيناه شراكة بيني وبينه (وآخرين). ورغبتي في هذا الأمر هو من أجل بيع سريع

---

(33) TS 13 J 16.23 (1015) and TS 10 J 9.26 (1016) عُرف خلف في هذه الوثيقة باسمه وليس بنسبه وعرف اسمه كاملاً لدى ستيلمان N. A. Stillman الذي رأى أن الإسمين لبحار واحد.

("The Eleventh-Century Merchant House of Ibn 'Awkal (A Geniza Study)," JESHO 16, 1973, p. 71).

(34) TS 24.6, نوقشت الرسالة من قبل:

S.D. Goitein in: A Mediterranean Society, Berkeley, 1967-88, II, pp. 60-1.

من المحتمل أن يكون ابناً لخلف. عُدت رسالة يعقوب بن خلف وثيقة في مصر سنة 1040؛

(Mosseri L 101 ed. M. Gil, Palestine during the First Muslim Period, 1983, II, pp. 336-9, #193).

ومريح»[35]. من المفترض أن أبا إبراهيم كان مقيماً في مصر، ويتصل بطريقة ما مع شبكة ابن حوقل التجارية. ونعلم من رسالة مرسلة من باليرمو بين سنة 1030 ـ 1020 أن شريكاً أندلسياً آخر، قد كتب إلى ابن حوقل قائلاً: «سأرسل الحرير . بمشيئة الله . في المركب الذي نسافر فيه أنا ومروان الأندلسي إلى المهدية بعد غدٍ. لقد أعجبت بكبر محبتك له، ورغبتك بإقامة علاقة صداقة معه وثقتك الثابتة به»[36]. ربما كان مروان هذا شريكاً شاباً يُعد لمنصب مسؤول في الشركة. ومثلما تاجر ابن حوقل بالبضائع الأندلسية وتعامل مع شركاء أندلسيين فقد أرسل تاجراً غير أندلسي ليتاجر مع إسبانيا المسلمة. وكان من بين هؤلاء أربعة أخوة من عائلة طاهرتي Taherti من القيروان وكان بينهم واحد على الأقل هو الفضل صالح al-Fadl salih الذي تاجر بين مصر والأندلس. وتروي رسالة بُعثت إلى ابن حوقل وهو في القاهرة إما في سنة 1015 أو تعود لعدد من المستثمرين[37]. وفيما يلي من الزمن في سنة 1050، كتب شريك لرجل الأعمال المصري الشهير نهريا بن نسيم Nahray b. Nissim من صقلية ليقول أنه تعاقد مع شريك آخر يدعى أبا الفضل للسفر إلى الأندلس. وإذا كان الافتراض أنه الشخص نفسه في مراسلات ابن حوقل المذكورة آنفاً، فإن ظهوره ثانيةً يوحي أن أعمال الشركات المتمركزة في القاهرة القديمة كانت تتطلب استخدام متخصصين بتجارة الأندلس من أجل مغامرة تجارية في تلك المنطقة. ولكن، بما أن الاسم المقصود ليس نادراً فلا يمكن لهذه المطابقة، أو التعريف، ان تكون مؤكدة[38]. ويجب أن يكون لدى نهريا شركاء مشرقيون يسافرون ويتاجرون

---

(35) TS 12.171.

(36) TS Arabic Box 5.1; trans. N.A. Stillman, "East-West Relations in the Islamic Mediterranean in the Early Eleventh century a study of the Geniza correspondence of the House of Ibn 'Awkal". Ph.D. Dissertation, University of Pennsylvania, 1970, p. 344. دراسة في مراسلات الجينيزا،

(37) Bodl d65.9; trans. Stillman, East-West Relations, p. 212.

(38) Bodl c28.61؛ يبدو أن الرجل كان يحوز رزماً من الكتان شراكة مع طاهري كان له هو الآخر صلة قوية مع نهريا بن نسيم. ويُعد ذكر العائلة الطاهرية برهاناً على مطابقة أبي الفضل في هذه الرسالة مع أخرى مذكورة في Bodl, d65.9.

من أجله في أسواق غرب البحر الأبيض المتوسط. فهناك رسالة أخرى، كتبت إليه من صقلية بين السنوات 1053 ـ 1057 تذكر تاجراً آخر كان غائباً في الأندلس[39].

وكان كثير من التجار الأندلسيين اليهود نشطاء في المشرق في غضون القرن الحادي عشر، سواء أكان لحساب بيوتات تجارية مشرقية كبيرة أم لحساب شبكة تجارية صغيرة. ويظهر معظم هؤلاء الأفراد بصورة عابرة، مثل ذلك الأندلسي في القاهرة، الذي اتهم بأنه رفع قضية إلى قاضٍ مسلم سنة 1027 بدل أن يكون ذلك في محكمة يهودية. وقد برهن هذا التاجر أن المحكمة اليهودية لم تكن قادرة على معالجة قضيته في ذلك الوقت[40]. عمل تاجر أندلسي آخر في فلسطين، وكان بين هؤلاء، يهودا بن يوسف بن الهاني al-Hani الأندلسي، وقد كتب مراراً من القدس إلى شريك في مصر في سنة 1040 يسأله عن الرصيد بدقة وحساب صفقاتهما التجارية[41]. وذكر تاجر أندلسي آخر من القرن الحادي عشر في رسالة تصف رحلة مروعة من الأسكندرية إلى طرابلس لبنان حيث «تسربت المياه إلى داخل المركب... وكان على كل رجل أن ينزح ما مقداره خمسين دلواً في كل نوبة... وقد أدى أبو الفرج بن يوسف الأندلسي نوبته»[42]. ويمكن للمرء أن يتصور أبا الفرج رجلاً مُقدّراً وربما كان كبير السن لم يساعد أبداً بنزح الماء عندما يتهدد المركب بالغرق.

من الصعب معرفة كيف بقي هؤلاء الأندلسيون العاملون في شرق المتوسط مرتبطين عن كثب بوطنهم. ويبدو الاتصال متواضعاً في بعض الحالات، كما هي الحال بالنسبة لعائلة يعقوب الأندلسي في القرن الحادي

---

(39) DK 22.

(40) Bodl b13.42.

(41) TS K 6.189; Goitein, Mediterranean Society. I. p. 451.

(42) TS. 12.241; trans. Goitein, Mediterranean Society, I, p. 321.

عشر، كعشيرة بقيت بصورة خاصة خارج سجلات الجينيزا المتعلقة بالأندلسيين البعيدين العاملين في مركز شرق البحر الأبيض المتوسط. وقد بقيت نحو اثنتي عشرة رسالة كتبت من قبل العائلة وإليها أو حول بعض أفرادها، بين 1040 إلى 1060، وسمحت لنا برؤية دقيقة لسلالة من التجار في خضم العمل، وعلى الرغم من أن البطريرك لم يظن بنفسه أبداً في هذه الرسائل إلا أن ابنه وصهره، وحفيده حتى أبو الجد كانوا نشطاء في تجارة المشرق. إن العلاقة العائلية المضبوطة بين أفراد هذه العشيرة الأندلسية ليست دقيقة، ولكن شجرتهم العائلية ربما رُسمت بوضوح كالتالي:

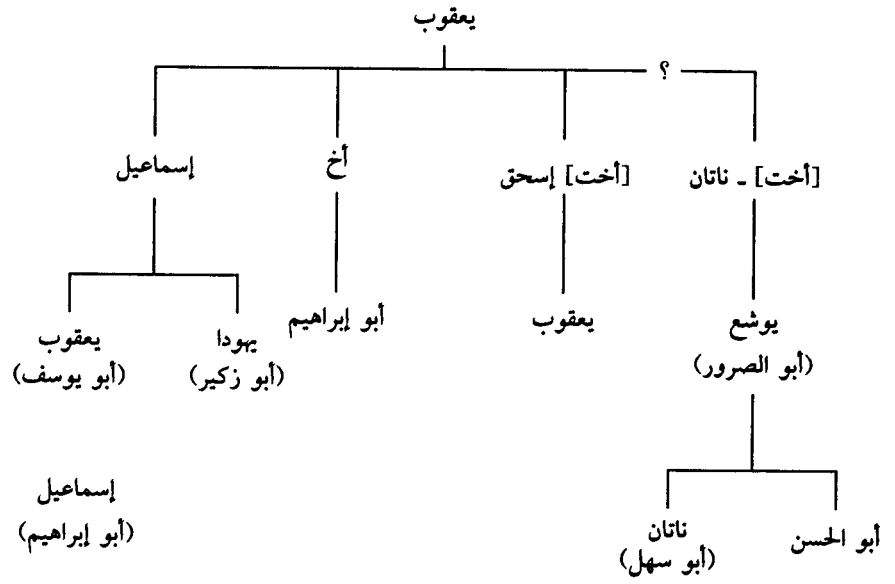

ولم تشكل هذه العائلة بيتاً تجارياً على الإطلاق إلا أن أفرادها تعاونوا مع نهريا بن نسيم وشركته التجارية. ومن الواضح أنه كان لهم علاقات وثيقة مع نهريا (على أنها علاقات صداقة اكثر منها نسبٍ) ذلك لأن كثيراً من الرسائل تذكر مسائل عائلية وتفصيلات شخصية، ومعلومات تجارية. وقد اقترح جوتين أن العديلين وهما إسماعيل وناتان قد تركا الأندلس في باكر

القرن الحادي عشر، مع شخص مقيم في أفريقيا ـ صقلية وآخر في شرق البحر المتوسط[43]. وربما ترك إسماعيل وناتان الأندلس بحثاً عن فرص تجارية موعودة في الشرق، او ربما كان سفرهما بسبب تهديد الحرب الأهلية في شبه الجزيرة خلال آخر العهد الأموي. ومهما كان السبب فقد أسس الاثنان اتصالات دائمة في الخارج ولم يعودا على ما يبدو إلى الأندلس إطلاقاً. وحافظ أبناؤهما يعقوب ويهودا ويوشع على العلاقة العائلية.

عمل يعقوب (الذي نعلم حوله المزيد) في أفريقيا ـ صقلية وتَاجَرَ بمراكب من البضائع الذاهبة إلى مصر والعائدة منها. وتعاقد أخوه يهودا كشريك رحالة وذكر غالباً في رسائل يعقوب مسافراً تواً من مصر وإليها. أما يوشع، ابن العم، فقد عمل في مصر أولاً. وتذكر رسائل عديدة أبا الصوري (كما يسميه أبو يعقوب) في رحلة بين العاصمة وريف مصر ليشرف على محصول الكتان. وإضافة إلى ذلك، فقد عاشت زوجة يوشع وعائلته في القدس في سنة 1046[44]. ولم يكن هؤلاء الثلاثة وحدهم العائلة المشتغلة بالتجارة، بل كان ولدا عمهم يعقوب بن اسحق وأبو إبراهيم قد اشتغلا بالتجارة أيضاً، ولكنْ، ابناهما لم يظهرا إلا في رسائل قليلة. ونظير ذلك الجيل الثالث التالي الذي اشتغل في مهنة العائلة، وابن يوشع، أبو سهل، حيث كان عليه أن يدخل باب العمل التجاري عندما تعاقد كساع أو وكيل لصالح نهريا بين القاهرة ومنطقة زراعة الكتان في بُسِر Busir في آخر سنة 1050[45].

وعلى الرغم من أن أفراد هذه العائلة قد ذكروا مراراً بنسبهم الأندلسي فيبدو أن اتصالهم المبكر مع الأندلس كان ضئيلاً. ولا يوجد في الحقيقة برهان على أن يعقوب بن إسماعيل ويهودا او يوشع قد زاروا شبه الجزيرة اطلاقاً، ويبدو ان أعمالهم قد اقتصرت على شرقي المتوسط. وعلى الرغم

(43) S.D. Goitein, Letters of Medieval Jewish Traders. [Princeton, 1973], p. 111.

(44) TS 20.9. see Goitein, Letters, p. 112.

(45) Mosseri L 190.

من نقلهم أنواعاً عديدة من البضائع مثل الحرير والكتان والمجوهرات والزيت والحبوب والتوابل والسكر والقرفة فلا يوجد أي من هذه البضاعة من أصل أندلسي أو أنها أرسلت إليه. وسواء أكانت هذه العائلة قد اندمجت في مجال شرق البحر الأبيض المتوسط بصورة كاملة، أم كان هناك شطر غربي آخر من أعمالهم؛ فإن السجلات المتعلقة بهذا الشطر غير موجودة في القاهرة. ومن المحتمل أنّ ابني العم المحيرين أبا إبراهيم ويعقوب بن إسحق كانا نشيطين في الغرب، ويتاجران بين تونس وموانئ الأندلس وهذا يفسر عدم تكرار ذكرهما.

وقد استمر التجار اليهود بالسفر بين الأندلس والمشرق خلال النصف الأول من القرن الحادي عشر. وعلى الرغم من وصول المرابطين إلى الأندلس يبدو أن الفرص التجارية المهيأة لليهود قد تقلصت، كما تقلصت الأدلة على التجار اليهود الأندلسيين في آخر القرن الحادي عشر، في زمن لوحظ فيه تزايد التعصب والاضطهاد الدينيين. وجرى في سنة 1090 أعمال اغتيال أخرى في غرناطة (تذكر بأحداث سنة 1066)، وفي حوالي نهاية عهد المرابطين في سنة 1135، نُهبت حارة اليهود في قرطبة وأحرقت[46]. وعلى الرغم من هذه الاضطرابات في حياة يهود الأندلس، إلا أن التجار تابعوا أعمالهم مع موانئ الأندلس وأسواقها في ظل حكم المرابطين. وفي حوالي سنة 1110 وصف رجل أعمال مصري يدعى أبو الخليف صفقات تجارية جديدة عقدت في الأندلس ومراكش[47]. وهناك تاجر آخر . يحمل نحاساً أندلسياً وأقمشة للبيع، ويتطلع لشراء توابل مشرقية ـ وصل إلى الإسكندرية سنة 1140. وفي تشرين الثاني من سنة 1141 ذكر رجل في الإسكندرية أن ابن أخيه وصل من الماريا[48]. ونعلم أيضاً عن وصول ابن لختوج Lukhtuj من جينيا في ذلك الزمن تقريباً إلى الإسكندرية. وكان شخص آخر يدعى

(46) J.O'Callaghan, A History of Medieval Spain. Ithaca, 1975, p. 286.

(47) Bodl d66.52; Goitein, Letters, p. 50.

(48) TS Arabic Box 40.113; TS 10 J 24.4.

صموئيل بن أوهتوش Uhtush وهو أندلسي من دينيا ذو صلة بالتاجر المصري المتنفذ هلفون بن ناتانئيل، ربما كان يتنقل بين الأندلس ومصر بصورة منتظمة[49].

كان هلفون بن ناتانئيل احد الجواليين في العالم في غضون القرن الحادي عشر، ومن خلال مراسلاته الواسعة من الممكن القول إنه وصل برحلاته إلى الأندلس والمغرب سنة 1128 وإلى الهند فيما بين 1132 ـ 1134 وعاد إلى الغرب فيما بين 1138 ـ 1139. وكان معظم رسائله من إسبانيا المسلمة تتعلق بصفقات تجارية بين المشرق والمغرب، والمباحثات مع الشركاء. وكان لاتصالاته المتينة أن دعت أحد الأصدقاء الايبريين والمعجبين أن يصفوه بـ الموحد لوقته الطويل المبدد وكزعيم لطائفته [أي في مصر] وكذلك في طائفته [في الأندلس][50]. وربما كانت علاقاته وطيدة مع الأندلس بصورة خاصة بسبب روابطه العائلية في شبه الجزيرة وصداقته مع الفيلسوف والشاعر يهودا هاليفي. وقد تطلبت رحلاته المضنية مكوساً؛ ونعلم من خلال رسالة إلى يهودي بارز في مدينة لوسينا Lucena أنه يعتذر لأنه لم يتمكن من الكتابة باكراً وشكا من مرض مزمن عاناه كنتيجة لشدة وقعت في البلاد وفي البحر خلال إقامته في الأندلس والمغرب[51].

ولم يكن هلفون التاجر اليهودي الوحيد الذي يسافر بعيداً في القرن الحادي عشر. إذ إن نمو تجارة الهند دفع بالتجار كي يعملوا في عدن لمدة سنة وفي الماريا في السنة التالية. ومثله تاجر آخر مقيم في مصر لإدارة أعماله، ويتاجر فصلياً مع الهند وهو مخلوف بن موسى النفوسي الذي سافر إلى الأندلس في منتصف القرن الحادي عشر، ومن ثم ذُكرت عودته إلى

---

(49) TS 10 J 16.17. See also Goitein, Mediterranean Society, III, p. 439. يراجع أيضاً

(50) ULC Or 1080 J 94; trans. and glosses by Goitein "The Biography of Judah Ha-Levi in the Light of the Cairo Geniza Documents," Proceedings of American Academy for Jewish Research 28, 1959, p. 43.

(51) ENA NS 18.30؛ معلومات غير منشورة في India Book notes.

مصر في رسالة بُعثت من الإسكندرية إلى القاهرة[52]. وقد تاجر قليل من تجار الأندلس في الهند، كما يدل على ذلك بعض المقاطع من رسائل الجينيزا السرية المرسلة (غالباً) من عيذب Aydhab' في شرق شاطئ أفريقيا، سنة 1100 التي أشارت إلى وصول أحد القرطبيين (وهو غالباً تاجر من أصل قرطبي يحمل بضائع تجارية من المهدية)[53].وفي مثال آخر، هناك رسالة كتبت في عدن سنة 1137 ومرسلة إلى هلفون في مصر حيث قدمت حسابات عن شحنات السنة السابقة من الهند، وكان بعضها بالتعاون مع شريك يدعى مبارك من ملقا[54]. وكان يرافق هلفون اثنان من زملائه الغربيين في عيذب نحو سنة 1134[55]. وكان أفضل من عُرف من تجار الهند في القرن الحادي عشر بالتعاون هو الأندلسي دافيد بن ميمون، أخو الميموني الذي توفي غرقاً في أحد المراكب في المحيط الهندي سنة 1168[56].

وبعد رحلات هلفون من شبه الجزيرة وإليها في أواخر سنة 1130، نفقد أثر التجار اليهود الأجانب المتاجرين مع الأندلس. وتتوقف مصادر الجينيزا وكذلك حوليات الأندلس في القرن الثاني عشر، منها، كتب الحسبة، والمراسلات، ووثائق العدلية العربية إذ لا تتضمن ما يكفي من المعلومات حول التجار اليهود لملء هذه الفجوة. وليس واضحاً إذا كان الاختفاء الظاهر للتجار اليهود من تجارة الأندلس في وسط القرن الثاني عشر يُعزى إلى تناقص الوثائق أو انحسار حقيقي في أعمالهم التجارية. وتدعم الأحداث المعاصرة

---

(52) ULC Or 1080 J 178 وفي رسائل أخرى تبيّن أن هذا الرجل قد تاجر مع الهند، يراجع: Ts 24.78.

(53) ENA 2730.7; margin, lines I-2. قراءتي مأخوذة من اعادة كتابة النص من قبل جوتين Goitein.

(54) TS 24.37؛ معلومات من مخطوط غير منشور لجوتين India Book notes.

(55) TS Arabic Box 48.270. هذان التاجران معروفان في رسالة أقدم TS 13 J 17.22, حيث أرسل فيها يهودا هاليفي تحيات إليهما عن طريق هلفون. ويظن جوتين أنهما من المغرب أو الأندلس ولكنهما جاءا إلى الأندلس لتخليص الحسابات مع هاليفي.

(56) L. Rabinowitz, Jewish Merchant Adventurers: A Study of the Radanites. London, 1948, p. 62.

النتيجة الأخيرة، ذلك أن التبدلات في سياسة الأندلس ومركز القوة في تجارة البحر الأبيض المتوسط الغربية بعد وصول الموحدين في شبه الجزيرة كان لهما تأثير مباشر على التجار اليهود العاملين في إسبانيا المسلمة.

وربما تصاعد اضطهاد يهود الأندلس خلال القرن الثاني عشر، ما دعا كثيراً من اليهود للرحيل عن شبه الجزيرة[57]. إن الأدلة متناقضة وتختلف الآراء من ناحية ثانية حول ازدياد الاضطهاد الموحدي[58]. وربما كانت سياسة الموحدين المبدئية لا تمتد أبعد من أن تكون تدعيماً صارماً للقيود التقليدية المفروضة على الذميين dhimmis، ولكن رسائل الجينيزا تتضمن وصفاً لمذابح اليهود في مراكش سنة 1140. وربما كان الموقف أسوأ في المغرب منه في الأندلس، وقد كتب تاجر يهودي إلى أهله في الماريا وكان

---

(57) Stillman "Aspects." p. 73. Abraham b. Ezra.

الذي ترك في سنة 1137. ويهودا هاليفي الذي ذكر كمسافر مُهم في سنة 1141 وفسر عملهما على أنه طبيعي أكثر من أنه رد فعل سياسي ضروري، لأنه سبق وغادر في زمن الموحدين الذين وصلوا إلى شبه الجزيرة في سنة 1147.

(58) إن الفرضية القائلة باضطهاد اليهود من قبل الموحدين مقبولة بصورة واسعة ومع ذلك فإن أبا العافية D. Corcos-Abulafia قد برهن على أن زمن الموحدين لا يمثل فترة أو مرحلة اضطهاد كامل لليهود. وقد رأى أن زمن التحويل عن الدين الاجباري حدث في ظل حكم أبي يعقوب يوسف (1163 ـ 1184).

Corcos Abulafia, The Attitude of the Almohadic Rulers towards the Jews, Zion, 32, 1967, pp. 137-60.

واعتبر ستيلمان أن هذه المراجعة «غير مقنعة». ولكن روث Roth وصفها بأنها «مرموقة» ن:

Stillman "Aspects," "p. 73; Roth, "Some Aspects of Muslim-Jewish Relations in Spain, "Estudios on homenaje a D. Claudio Sanchez Albornoz, Buenos Aires, 1983, "II, p. 179.

ويعتقد آخرون باستمرار الاضطهاد بعد عام 1184 ومنهم R. Le Tourneau وامتد بعد عهد أبي يوسف يعقوب 1199 - 1184

Le Tourneau, The Almohad Movement in North Africa in the 12th and 13th Centuries, Princeton, 1969 pp.57,77. H.Z Hirshberg.

الذي يعتقد أنه في وسط القرن الثاني عشر أي بعد سنة من حكم الموحدين خفت حدة محنة اليهود A History of the Jews in North Africa, Leiden, 1974,. p. 136.

مسافراً في فاس، قائلاً أن «بُغض (اليهود) منتشر في هذا البلد إلى درجة تبدو فيه الماريا كملجأ آمن[59]!. ولكن الواقع أن العائلة الميمونية قد فرت من قرطبة إلى فاس بعد سنوات قليلة في سنة 1159 أو 1160. وهذا يوحي بأن الاضطهاد في شمال أفريقيا والأندلس لم يكن دائماً ولا شاملاً. ورحلت عائلته ثانية إلى مصر سنة 1165. ومن جهة أخرى يمكن أن يدل على شروط أكثر سوءاً. وربما كان الموقف مزدوج الصعوبة بالنسبة لطائفة التجار اليهود، منذ أن قام الحكام الموحدون بوضع المصاعب أمام عيش اليهود وتحركهم في أراضيهم وأجازوا للأجانب المسيحيين التجارة في موانئ الأندلس.

المسيحيون

كان ظهور المنافسة التجارية المسيحية في منتصف القرن الثاني عشر ظاهرة جديدة، منذ أن كان للمسيحيين نفوذ صغير في أسواق الأندلس قبل هذا الدور. وعلى الرغم من أن التجار المسيحيين قد اشتغلوا بالتجارة بصورة مؤكدة خلال أدوار الأمويين ودول الطوائف، فقد كانوا أقل أهمية بكثير من نظرائهم المسلمين واليهود. إن عدم وجود جماعة تجارية مسيحية أهلية في داخل الأندلس يفسر بصورة جزئية، هذا الخلل. ولا يظهر سوى زوج من التجار مُزرب Mozarab في الوثائق. وقد افترض أن الواعظ المسيحي إلوجيوس Eulogius في القرن التاسع كان له أخوان من التجار وانخرط الاثنان في تجارة أوروبا بين سنة 849 و850، وهناك تاجر مسيحي يدعى جوهانس Joannes قد جُلد بالسياط وسجن لأنه تعرض لذكر النبي عندما كان

---

(59) Sassoon 713 قد كتبت من مصر إلى عدن في كانون الأول من سنة 1147 وتتحدث عن اغتيالات واسعة في تلمسان وسيجيلمازا ومراكش وكذلك في مكناس وفاس وفي مراكش ثانية [في الهامش]، «أندلسيون» ذكروا كمتوفين في الهامش الأيمن 1.24.

نشرت هذه الرسالة من قبل: H.Z. Hirschberg in I.F. Baer Jubilee Volume, Jerusalem, 1961 p. 142 عن الضغينة في: TS 12.435, trans Goitein, Letters p. 55. ويؤرخ جوتين الرسالة في سنة 1140.

يبيع بضاعته[60]. إن ما ذكر في الفصل السابق حول ندرة التجار المزرب ربما يُفَسِّرُ بالوضع القانوني للتجار في المجتمع المسيحي الإيبري مقابل النظرة العالية للمهنة بين المسلمين واليهود.

إن المعلومات الباكرة عن التجار المسيحيين الأجانب هي الأخرى قليلة على الرغم من وجود احتكاك دبلوماسي واقتصادي بين الأمويين والكارولنجيين. وكتب بعض المؤلفين اللاتين، بمن فيهم ليتوبران Liutprand صاحب كريمونا Cremona 949 وجون جورز 978 ـ 984 معلقين على تجار سيئي السمعة من فردن Verdun الذين اشتهروا بنقلهم الرقيق الأبيض المسيحي من أوروبا إلى إسبانيا المسلمة[61]. وتروي قصة كتلانية، أقل ثقة ـ لأنها كتبت في القرن الثالث عشر غالباً ـ تروى حدثاً في 986، أن رجلاً يتاجر مع برشلونة المسيحية ومالوركا المسلمة، قد أنقذ كاهناً كان في الأسر لدى المسلمين وخبأه في عربته في رحلة عودته إلى برشلونة[62].

ويظهر التجار المسيحيون الأجانب في قلب المصادر العربية. فقد ذكر ابن حيان معاهدة سلام وأمن تجاري تم التفاوض عليها بين الأمويين وبلاط برشلونة في سنة 939، وتصف زيارة لقرطبة من قبل تجار من أملفا Amalfa سنة 942. وذهب ابن حيان قائلاً أنه، وبعد هذه الزيارة الأملفية الناجحة فإن

---

(60) E. Florez, España sagrada, Madrid, 1753, X P. 416. See also K.. Wolf, Christian Martyrs in Muslim Spain, Cambridge, 1988, p. 12.

(61) Liutprand of Cremona, Antapodosis. in Opera, ed. J. Becker, MGH Scriptores in usum scholarum, Hanover-Leipzig, 1915, p. 156; John of Gorze, Vita. ed. Pertz, MGH Scriptores IV (in folio), Hanover, 1841, pp. 370, 375. *Virdunensis negociatores* in the Liber miraculorum S. Bertini Abbatis. Acta Sanctorum.

September 5, II, Antwerp, 1748, pp. 597. قد ذكر التجارة مع الأندلس

(62) M. Coll i Alentorn, "La cronica de Sant Pere de les puelles," II مذكور في: Colloqui d'historia del monaquisme catala. Santas Creus, 1967, II, p. 39.

A. Yepes, Coronica general de la Orden de San Benito. Valladolid رويت القصة في Pamplona, 1609-21 III, pp. 345-8. H. Dillard. Pamplona, 1609-21 III, pp. 345-8 مع الشكر لـ: H. Dillard من أجل هذه الملحوظة.

«خلفاءهم» تابعوا المجيء إلى الأندلس وحققوا فوائد عظيمة[63]. وإذا ابتعدنا عن شبه الجزيرة، نجد جغرافياً فارسياً مجهولاً، يشير إلى تجارٍ روميين «تاجروا في إسيجا Ecija وجان Jaen وفي مدن أخرى في الجنوب في القرن العاشر»[64]. وتذكر مصادر مجهولة من القرن الرابع عشر (وهنا الشك في موضوع التأريخ) وجود تجار أجانب في الأندلس خلال العهد الأموي الباكر[65]. وتطرح مجموعة المعلومات هذا الشك بكتابات ابن خلدون فيما بعد حيث يقول: «ما من مسيحي أبحر على ظهر سفينة في [البحر الأبيض المتوسط]» في القرن العاشر»[66] إلا أنه من الواضح أن قليلاً من التجار المسيحيين وصلوا إلى موانئ الأندلس خلال العهد الأموي مع أن المسيحيين لم يظهروا في الأندلس بأي عدد حتى وسط القرن الثاني عشر، عندما انطلقت الثورة التجارية الأوروبية.

التجارة في شبه الجزيرة بين 1150 – 1250

الفتح المسيحي التجاري

إن ازدياد نفوذ التجار الأوروبيين في أسواق الأندلس يدل على عصر جديد في المجال التجاري المتوسطي، فقد سيطر الجنويون والپيزاويون ومسيحيون آخرون على التجارة وطرقها ونزعوها من مجموعات تجارية أخرى.. فخلال القرن الثاني عشر يمكن ملاحظة هذه الظاهرة في البحر الأبيض المتوسط. كما يجب أن ينظر إلى تطورات أسواق الأندلس كمكمل

---

(63) قرأ Chalmeta هذا المرجع *malfatanin* and *malfiyyin* as Amalfitans "La Méditerranée occidentale et al-Andalus de 934 à 941: les données d'Ibn Hayyàn," Rivista degli studi orientali 50, 1976, pp. 341-2, 351. Ibn Hayyan, Muqtabas, V, pp. 478, 485.

(64) Hudud al-'alam: "The Regions of the World", A Persian Geography. trans. V. Minorsky, London, 1937, reprinted 1970, p. 155.

(65) Ibn Sammāk, "Al-zahrat al-manthura fi nakt al-akhbār al-ma'thura" ed. M.A. Makki. Madrid: MDI 21, 1981-2, p. 55 ابن سماك: الزهرة المنثورة في نكت الأخبار المأثورة،

(66) Ibn Khaldun. The Muqaddimah. trans. F. Rosenthal, New York, 1958, II, p. 42.

لحضور التجارة الأوروبية الجديدة في الإسكندرية وتونس وبوجي وسبتا وأماكن أخرى. وتظهر تحليلات وثائق العدلية الجنوية أن موانئ الأندلس لم تكن قط المحطة الأولية لحركة المرور التجاري الجنوي، هذا على الأقل بالمقارنة مع موانئ شمال أفريقيا والمشرق ولكنها بقيت عاملاً ثابتاً ومنسجماً مع شبكة التجارة الجنوية. فإذا نظرنا إلى السجلات الجنوية من سنة 1191 وسنة 1253 مثلاً، فإننا نجد أنه كتبت في هاتين السنتين 5.3 بالمئة من العقود التجارية الجنوية التي تتعلق برحلات إلى إسبانيا Yspania (أي الأندلس) أو محطات ايبرية أخرى[67].

ومع ذلك فقد ازداد العدد الاجمالي للرحالة الجنويين بين وسط القرن الثاني عشر ووسط القرن الثالث عشر، وهكذا فمن وجهة نظر الايبريين، فقد مَثّل التجار الجنويون (والطليان الآخرون) عنصراً مهماً متزايداً من جمهور التجار. وتعتبر التحليلات التالية مصالح الجنويين لدى الطرفين المسيحيين والمسلمين الإسبان منذ أن خدمت الموانئ الإسبانية المسيحية وخاصة برشلونة كنقاط تصدير للبضائع الأندلسية غالباً. وفي الوقت نفسه، كان هذا الدور الذي تعاظم فيه نشاط التجارة المسيحية في شبه الجزيرة قد بدأ بتعديل كفة الميزان للنقل التجاري لصالح الأسواق المسيحية.

ولم تقدم السجلات العدلية معلومات عن محطات الرحالة التجار الجنويين وحسب، بل أيضاً حول الرجال والنساء الذين انخرطوا في تلك التجارة. فقد سجلت أسماء ما يزيد عن مئتين وخمسين نسمة تعاملوا بالتجارة مع موانئ الأندلس في المرحلة بين 1156 و 1253. ومع ان هؤلاء الناس يمثلون جزءاً من أولئك الذين ذكروا في سجلات جينيزا وحسب فقد ضُخّم ثانية الدور الصغير نسبياً لشبه الجزيرة في مجال التجارة الجنوية إذا ما قورنت مع مناطق البحر الأبيض المتوسط الأخرى.

---

(67) O.R. Constable, "Genoa and Spain in the twelfth and thirteenth centuries," Journal of European Economic History 19, 1990, pp. 643-4.

إن عقود الجنويين من أجل الرحلات الإيبرية توحي أيضاً بأن التجار لم يكونوا متخصصين في هذه المنطقة. وعلى الرغم من أن تاجراً رحالة ربما قام بعدد من الرحلات إلى الموانئ الإيبرية، أو أن مستثمراً ربما خاطر بمبلغ زهيد لمثل تلك الرحلات، فقد استمر كل منهما بالحفاظ على المصالح التجارية في الأماكن الأخرى من البحر الأبيض المتوسط وبصورة أكثر واقعية. وفي القرن الثاني عشر وبالتحديد بعد سنة 1150 لم تظهر أسماء في عقود تجارية لأماكن في إيبريا. وقد عثر على ثمانية عشر اسماً حسب في أكثر من وثيقة. وكان بين هؤلاء ثمانية مستثمرين، وقد عمل جميعهم في النصف الثاني من القرن الثاني عشر[68]. وغامر ثلاثة تجار من الثمانية بالاستثمار في إسبانيا. ولكن واحداً فقط أجرى عقداً من أجل أربع رحلات، وبالعكس لم يجر أي عقد في القرن الثالث عشر من قبل كتاب عدل، يُرينا مستثمرين ارسلوا أكثر من استثماريين إلى أماكن في إيبريا.

وكان بين أكثر المستثمرين شهرة في القرن الحادي عشر في تجارة إيبريا سُلُمان ساليرنو Soloman of Salerno، وهو تاجر جنوي تنقل واستثمر في شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه. ويظهر اسمه في أربعين سجلاً على الأقل كتبت من قبل كاتب العدل جيوفاني سكريبا Giovanni Scriba في سنة 1150 و 1160، وتوحي هذه المصالح المتنوعة ـ على الرغم من أنها جنوية ـ بأنها تنطبق على نمط الركاض rakkād الموصوف في تصنيف التجار للدمشقي[69]. وقد استثمر سلمان من خلال ثلاث مغامرات إيبرية بين السنوات 1156 و 1158، كما أرسل 103 ليرات إلى إسبانيا في سنة 1158 على ظهر سفينة هنري نيفيتيلا[70]. ولما جرى بعد سنتين نجد سلمان وزوجته إيليادار قد أجريا عقداً

(68) ليس جميع التجار الباقين هم وكلاء، فقد ظهرت بعض الأسماء في عقود أخرى.

(69) من أجل نشاط سلمان ن: D. Abulafia, The Two Italies. Cambridge, 1977, pp. 237-54.

(70) Giovanni Scriba, Cartolare di Giovanni Scriba. eds. M. Chiaudano and M. Moresco. Rome, 1935, I, pp. 226-7, #176; I,pp. 264-5, #495; I,p.267, #500.

كبيراً للتجارة مع إسبانيا[71]. وعندما كان سلمان يستثمر في شبه الجزيرة وغرب البحر الأبيض المتوسط، أدار أعمالاً تجارية في أسواق المشرق. وكما لاحظ أبو العافية Abulafia، أن سلمان كان قادراً على القيام بمغامرات مزدوجة على طرفي البحر الأبيض المتوسط... يتكلم عن مصالحه التجارية المتنوعة وعن ثروته حتى أنه دُعي «أمير التجار»[72]. ومع ذلك تبدو الشبكة التجارية لسلمان محدودة بالمقارنة مع المصالح التجارية الواسعة التي أمسك بها هلفون بن ناتائيل قبل عقدين سابقين.

وهناك من ادّعى أن عدداً من التجار العاملين في جنوى في القرن الثاني عشر كانوا أجانب ويهوداً أكثر من الجنويين الأصليين، ويُعد سلمان ساليرنو المثال على ذلك. ويعتقد بيرن Byrne وعدد آخر أن سلمان كان يهودياً من جنوب إيطاليا، على الرغم من أن أبا العافية قد برهن أنه كان جنوياً[73]. والواقع فإن اسم مستثمر واحد في تجارة إيبريا هو جوزيف أودو (الذي أجرى عقداً للسفر إلى إسبانيا في سنة 1162)، يوحي أنه لم يكن مسيحياً[74]. ومن ناحية ثانية، هناك عدد من التجار المشتغلين في موانئ إيبريا ومشكوك في أصولهم. مثال ذلك بونوس جوهانس ماليفياستر الذي يظن أنه من أصول إغريقية، واستقر في جنوى منذ منتصف القرن الثاني عشر. ونعلم أنه كان له أربعة استثمارات بين 1156 و 1160. وقد غامر في سنة 1156 بعشرين ليرة ثمن رحلة إلى الماريا، في حين أجرى عقداً في سنة 1159 ظهر فيه أنه أرسل 150 ليرة إلى إسبانيا، وأرسل 40 ليرة إضافية إلى المكان نفسه في السنوات التالية[75]. وكان بونوس جوهانس خلال هذه المرحلة ناشطاً في

---

(71) Giovanni Scriba, Cartolare, I, p. 339, #625.

(72) Abulafia, Two Italies, pp. 244, 254.

(73) Abulafia, Two Italies, p. 237; حول هذه النقطة ن. ملاحظاتي Journal of European Economic History 19 (1990), pp. 648-9. يجب أن يراجع.

(74) Giovanni Scriba, Cartolare, II,p. 104, #1011.

(75) Giovanni Scriba, Cartolare, I,p. 120, #224; p. 295, #550; pp. 338-9, #624; and pp. 73-4, #141. See also E.H. Byrne, "Easterners in Genoa," JAOS 38(1918), pp. 176-87, and as a corrective to Byrne, Abulafia, Two Italies, pp. 236-7.

حلبات أخرى من حلبات تجارة البحر الأبيض المتوسط، ومستثمراً ومغامراً في صقلية والإسكندرية وسردينيا، وسورية، وشمال أفريقيا. وهناك تاجر آخر يدعى بلانكاردوس، من أصول، متنازع على مكانها، تعاقد مع ثلاثة شركاء في تجارة أندلسية خلال وسط القرن الثاني عشر. وقد نفذ أحدها في عام 1162، وينص ائتمان مبلغ 120 ليرة إلى جوهانس بن البيريكوس، الذي كان مسافراً إلى إسبانيا. وبعث 40 ليرة إلى إيبزا Ibiza في السنة التالية وخمسين ليرة أخرى إلى إشبيلية[76] في سنة 1164.

وسواء أكان سلمون ساليرنو وبونوس جوهانس مالفياستر وبلانكاردوس، «من الداخل» أم من «خارج» المجتمع الجنوي، فإن ثلاثة من أربعة تجار قاموا باستثمارات متكررة من خلال رحلات إلى محطات إسبانية.

أما الرابع فقد كان معروفاً جيداً فهو جنوي مالك لمركب، ويدعى وليم راتالدو William Rataldo. وتوجد ثلاثة عقود تتعلق باستثمارات وليم في إيبريا بين 1191 - 1192، اثنان في كتلونيا وواحد في قشتالة[77]. وكما كانت الحال بالنسبة لسلمان ساليرنو فقد استثمر وليم في مناطق بالتعاون societas مع فولكو دو كاستلو Fulco de Castello (القشتالي) [78]. وقد حسب كروجر

---

(76) Giovanni Scriba, Cartolare, II, pp. 78-9, #967; II, p. 141, #1084; II, pp. 229-30, #1269. إن أصل بلانكادروس غير واضح. بيرن يعتقد أنه يهودي ولكن نلسون أثار شكاً حول ذلك في مقاله: "Blancard (the Jew?) of Genoa and the Restitution of Usury in Medieval Genoa," Studi in onore di Gino Luzzatto, Milan, 1949, I, pp. 96-116. كما ناقش أبو العافية الأصل اليهودي هذا Two Italies, p. 235.

(77) Guglielmo Cassinese 1190-1192. eds. M. Hall, H.C. Krueger, R. L. Reynolds, Turin, 1938, I, p. 88, #218; II, p. 37, #1199; II, pp. 183-4, #1573. يذكر أن هذه الاستثمارات هي لأسواق إسبانيا المسيحية وليس للأندلس.

(78) H.C. Krueger, Navi e proprietà navale a Genova, seconda meta del secolo XII. Genoa, 1985, p. 80,

إن كثيراً من الناس الذين ظهروا كمشهورين في تجارة جنوى كانوا متنفذين في سياسة جنوى ايضاً. وقد تصرف فولكو وكاستلو كقنصلين للمدينة في 1188 و 1195 1207 و 1215 وتاجر آخرون مشهورون في إسبانيا ومناطق أخرى. وتبعوا هذا الطريق المهني Krueger, Navi e proprietà, p. 148. .

Krueger أن وليم راتالدو قد استثمر من خلال نقل البضائع إلى أولتريمار ومجموع ذلك 3,165 ليرات في السنوات 1179 ـ 1200[79]. وبالمقابل فإن إنفاقه في إيبريا يصل إلى 400 ليرة فقط[80].

إن عدداً من العائلات الجنوية الشهيرة في القرن الثاني عشر من أمثال دو فولتا de Volta، وبورون Burone، ومالون Mallone وعشيرة فنتو Vento clons، قامت بانتهاز فرص وقامت بمغامرات في إيبريا، على الرغم من أنها كانت تهتم بالتجارة مع المشرق أولاً. وفوق ذلك، فإن استثماراتها في غرب البحر الأبيض المتوسط تميل إلى أن تكون أصغر من تلك في الشرق. إن عائلة دو فولتا، مثلاً، قد سُجلت من قبل جيوفاني سكريبا الكاتب على أنها أرسلت ما مجموعه 16,800 ليرة إلى المشرق، و3,800 ليرات إلى المغرب، و 4,800 ليرات. إلى شبه جزيرة إيبريا وفرنسا خلال الفترة بين 1155 ـ 1162[81]. ومثل ذلك فقد دفع وليم فنتو 1,200 ليرة من أجل رحلات مشرقية و 170 ليرة من أجل واحدة غربية، منها مئة وليرتان فقط دفعت من أجل رحلة تجارية إلى إشبيلية في سنة 1161[82]. وكان بعض المستثمرين يوفقون، أحياناً بين مصالحهم الشرقية والغربية، كما كانت حال وليم بورنو في آب من سنة 1160 عندما استثمر 100 ليرة في

---

(79) Krueger, Navi e proprietà, p. 124.

(80) إن عدداً من المستثمرين الجنويين الآخرين أضافوا أيضاً الإيبريين إلى حقيبة المصالح الواسعة ولكن أسماءهم لم تظهر سوى في عقدين على الأكثر من الاستثمارات وقد ذكر تجار مثل: لوردانو، كريريكو، أوبرتو، نوتاريو، بايامونتي بارليرا، رولاند دو كانيتو.

(81) H.C. Krueger, "Post-war Collapse and Rehabilitation in Genoa (1149-1162)," Studi in onore di Gino Luzzatto. Milan, 1949, pp. 127-8.

الاستثمارات الجنوية في القرن الحادي عشر درست من قبل:

E. Bach, La cité de Gênes au XIIe siècle. Copenhagen, 1955.

كثير من التجار المذكورين هنا، وصفهم، Bach, pp. 103-39.

(82) H.C. Krueger, "Genoese Trade with Northwest Africa in the 12th century," Speculum 8, 1933, pp. 387-8. Giovanni Scriba recorded the 1161 venture, cartolare, II, p. 32, #859.

رحلة إلى القسطنطينية والإسكندرية مع تعليمات إلى المركب أن عليه أن يعود إلى جنوى عن طريق بوجي في إسبانيا. وقبل شهر، تقاسم استثماراً من 200 ليرة مع ايدومالون Ido Mallone وآخرين من أجل رحلة مماثلة متوجهة إلى الإسكندرية أولاً، ومن ثم إلى الأندلس ـ إسبانيا Yspaniam ultra Barchinoniam أو بوجي[83].

وفي بعض الحالات، كان بعض أفراد عائلات جنوى الشهيرة يستثمرون من خلال رحلاتهم إلى موانئ الأندلس وكانوا يتصرفون أحياناً وفق إمكانات تنقل الشركاء. ففي سنة 1159 اشتغل مارشيو دو فولتا Marchio de Volta ساعياً أو وكيلاً في شركة إسبانيا societas to Yspania، وبعد قرن من الزمان في سنة 1253 طلب commenda ريموند دو فولتا Raymond de Volta أن يسافر إلى مالوركا[84]. وبطريقة مماثلة نعثر على ثلاثة عقود (مؤرخة في 1160 و 1198 و 1237) حيث استثمر أفراد من عائلة مالون في حملة إلى إسبانيا وكتلونيا، وفي عقد آخر من سنة 1162، يذكر فيه أن هنري مالون قبل مبلغ 40 ليرة من أجل رحلة إلى باليريك[85].

وقد اشتغل شباب العائلات وسطاء متنقلين بين الشركاء، بصحبة كبار، غالباً ما كانوا آباءهم. ويبدو أن هذه الطريقة لا تماثل تلك الروابط العائلية في الشراكة التي رأيناها في وثائق جينيزا في القاهرة. ففي سنة 1160 مثلاً، جعل أوتو دو كاسترو Otto de Castro من ابن زوجته جوهانس وسيطاً كي يذهب إلى الإسكندرية وإسبانيا[86]. وفي سنة 1179، وبين الفينة والأخرى، كان فولكو دو كاستلو Fulco de Castello يرتب لابنه فولكينو Fulchino مبلغ 20

---

(83) Giovanni Scriba, Cartolare, I, pp. 404-5, #752; 1, p. 380, #705.

(84) Giovanni Scriba, Cartolare, I, p. 292, #544; ASG Cart. 29, 220r.

(85) (1160) Giovanni Scriba, Cartolare, I, p. 380, #705; 1198, Bonvillano 1198. eds. J. E. Eierman, H.C. Krueger, R.L. Reynolds, Turin, 1939] p. 50, #108; 1237, ASG Cart 56, 168V; 1182, ASG Cart. 2, 17r. ويظهر هنري مالون في الصفحة ذاتها كمستثمر في تجارة مالوركا.

(86) Giovanni Scriba, Cartolare, I, pp. 404-5, #752.

ليرة للاستثمار في مالوركا[87]. وكما عرفنا أعلاه، فإن الشاب فولكو الذي سيصبح مستثمراً فيما بعد لحسابه الخاص، قد أرسل مالاً إلى سورية إلى شركة، مع وليم راتالدو بعد اثنتي عشرة سنة. وقَبِلَ وليم دو بيتر في سنة 1203 مالاً من أخيه جوهانس من أجل نقل بضاعة إلى برشلونة[88]. ويمكن أن نتوقع أنه كانت توجد ترتيبات شراكة عائلية مشابهة في عمل في سنة 1191 عندما وافق وليم كافارونكو Cavarunco أن يسافر إلى مالوركا مع مالٍ لـ: فيليب كافارونكو، وفي سنة 1252 تعاقد أنسالدو ليتانلو Ansaldo Letanelo مع خمسة مستثمرين مختلفين (منهم هنري ووليم ليتانلو) من أجل السفر إلى إسبانيا[89]. وعلى الرغم من ذلك، كان عدد من أفراد العائلات الجنوية المتنفذة، يهتمون بالنقل التجاري مع شرق المتوسط أولاً، وبصورة خاصة مع بيزنطا وقد نقل سيمون بن جوهانس جيرسيو 50 ليرة إلى كتلونيا من أجل إمرأة قريبة تدعى Johanna في سنة 1243[90].

ولم يقتصر الاستثمار والشراكة على العائلة وحدها، فنجد في بعض الحالات أخوة وعمومة جنويين يجمعون أموالاً لتمويل رحلة إلى إسبانيا، كما حصل مع اثنين من أفراد عشيرة ليتانلو في سنة 1252. وقد أودع ماتيرينو دو جيزيلفو 60 Materino de Guisulfo ليرة لدى سيمون سيكادا Cicada، الذي كان مسافراً إلى مالوركا. ومن ثم تعاقد مباشرة ثانية مع سيمون من أجل 60 ليرة أخرى بالنيابة أو بالأصالة عن أخيه جوهانس دو جيزيلفو[91].

---

(87) ASG Diversorum 102, 11r.

في عام 1201 فرد آخر من العائلة Obertus عمل وكيلاً لبيع الثياب في كتالونيا.

Giovanni di Guiberto, 1200-1211. eds. M. Hall, H.C. Krueger, R.L. Reynolds, Turin, 1940, p. 210, #442.

(88) Lanfranco , 1206-1226. eds. H.C. Krueger, R.L. Reynolds, Genoa, 1951, I, p. 151, #375.

(89) 119, Guglielmo Cassinese, II, p. 69, #1287; 1252, ASG Cart. 24, 166r.

(90) Balduinus Guercio كانت زوجة متنفذ يدعى ASG Cart. 26/11, 92V. Johanna Krueger, Navi e proprieta, pp. 49, 89, 138, 150-2.

(91) ASG Cart. 18/1, 81r-v.

وبطريقة مماثلة أجرى أنجو جاليتا Ingo Galleta عقدين في سنة 1252 للتجارة مع مالوركا. وكان الأول بمبلغ 25 ليرة، حيث أجراه من أمواله الخاصة؛ والثاني بقيمة 41 ليرة، وأجراه بأموال من أخته سيبيليا Sibilia[92].

وكما هي الحال بالنسبة لـ سيمون سيكادا وأنسالدو ليتانلو، فقد كان من المألوف، بالنسبة للوكلاء التجاريين أن يجمعوا أموالاً من مختلف المستثمرين قبل الشروع برحلة إلى شبه جزيرة إيبريا أو إلى أي مكان آخر. ولهذا السبب، يبدو أن قليلاً من الوكلاء قد تخصصوا بالرحلات الغربية، حيث أن أسماءهم ظهرت في عقود رحلات مختلفة، إلى الموانئ الإيبرية المختلفة، في سنوات مختلفة. وكان من هؤلاء التجار فسالوس رافيولو Vassallus Raviolo وفولكو دو بريدي Fulco de Predi اللذان عملا معاً في رحلات إلى الأندلس. فقد سافرا إلى إيبزا وبوجي، ومعهما 40 ليرة للاستثمار من قبل بلانكاردوس Blancardus. ونقلا مبلغاً آخر من أجل بلانكاردوس في السنة التالية، بالاضافة إلى أموال لمستثمرين آخرين إلى مدينة إشبيلية[93]. وكان هذان، على ما يبدو شابين في سنة 1160، وفي بداية عملهما التجاري. وبعد عشرين سنة يظهر اسم فاسلوس رافيولو مسجلاً كمالك لسفينة في عقد منظم في صقلية والمغرب سنة 1182[94].

وهناك شريك رحالة آخر، ومالك لسفينة، ألا وهو هنري نيفيتيلا Henry Nivetella، الذي اشتغل مع سُلُمان ساليرنو في سنة 1158 ونقلا استثماراً يقرب من 350 ليرة إلى إسبانيا وصقلية وبروفانس[95]. وبعد أربع سنوات أشارت عقود أخرى أن هنري ذهب إلى إسبانيا ثانية في سنة

---

(92) ASG Cart. 24, 169v.

(93) Giovanni Scriba, Cartolare, II, p. 141, #1084; II, pp. 229-30, #1269.

(94) Krueger, Navi e proprieta, p. 66.

(95) Abulafia, The Two Italies, p. 244؛ سجل العقد في إسبانيا من قبل:
Giovanni Scriba, Cartolare, I, p. 267, #500.

(96) Giovanni Scriba, Cartolare, II, p. 104, #1011.

1162[96] ولربما تخصص في النقل خلال المتوسط الغربي في هذه المرحلة من عمره المهني، وقد عرفنا أن مركبه نقل البضائع إلى الإسكندرية وسورية والقسطنطينية، بين 1180 و 1190[97].

إن ظهور زوجة سُلُمان ساليرنو، وجوهانا زوجة بالدونيوس جيرسيو Balduinus Cuercio وسيبيليا أخت أنجو جاليتو، في عقود إليادار Eliadar يدل على مجموعة جنوية مستثمرة أخرى في تجارة الأندلس. ويعتبر وجودهن فريداً في تجارة الأندلس، حيث لا توجد سجلات للمستثمرين النساء لدى جماعات التجار المسلمين أو اليهود. وقد تمتعت المرأة الجنوية باستقلال مالي كبير، واستخدمت أموالها غالباً بالفائدة التجارية. وقد وجدنا بضع عشرة امرأة يستثمرن في تجارة إيبريا مثلهن مثل أقربائهن الذكور الذين انخرطوا بصورة اعتيادية في صفقات تجارية في مناطق أخرى من البحر الأبيض المتوسط. وقد استثمرت إليادار أموالها الخاصة (فقد أرسلت 18 L إلى إسبانيا في سنة 1160) وتصرفت كوكيلة لزوجها عند غيابه وأدارت أعمال سُلُمان التجارية في جنوى أثناء سفره[98]. وهناك نساء أخريات عرفن كزوجات وأرامل وأخوات تجار ظهرن في أماكن أخرى، وفي سجلات عدلية أخرى وقمن بأعمال تجارية في إسبانيا. وقد أرسلت أدالاكسيا Adalaxia زوجة فولكو دو كاستيلو 50 L إلى مالوركا في سنة 1182[99]. وفي شهر آب من سنة 1201، عهدت دروا Drua ومونتانارا Montanara (والاثنتان متزوجتان من عائلة ستريابوركو Streiaporco) بمبلغ زهيد إلى وكلاء مختلفين مسافرين إلى متالونيا على ظهر مركب دُعي ديانا Diana. وهناك امرأة أخرى

---

(97) Krueger, Navi e proprietà, pp. 72, 86, 90.

(98) On Eliadar, see Abulafia, The Two Italies, pp. 241.

(99) ASG Cart. 2, 6r. هي غالباً زوجة السيد فولكو حيث أن دليلاً في الوثيقة 1213 تحدث عن بائنة أو مهر من يدعى أميليا زوجة فولكو كاستلو وهو فولكو الصغير،

S. Epstein, Wills and Wealth in Medieval Genoa 1150-1250. Cambridge, Mass, 1984, pp. 105-6.

تدعى مابيليا Mabillia، أرسلت 7 L إلى كتلونيا في الشهر نفسه، ولعله مع المركب نفسه[100]. وفوق ذلك، إن الاستثمار الافرادي الممارس من قبل النساء في تجارة إسبانيا يميل إلى أن يكون أصغر من استثمارات الرجال الذين يجرون عقوداً من أجل مبالغ ضئيلة..

ولا يوجد سوى معلومات قليلة من المدن الأوروبية الأخرى حول التجار المتعاملين مع شبه الجزيرة، لأن محفوظاتهم تفتقر لغنى المعلومات العدلية الباكرة المحفوظة في جنوى. وإن وجد الحد الأدنى منها، فمصدرها جميعها من شمال غرب إيطاليا وجنوب فرنسا، على الرغم من اتساع شبكتهم التجارية، فإن الفنتيين Venetians لم يظهروا اهتماماً بتجارة الأندلس في هذا الدور. وتشير المعاهدات الدبلوماسية البيزية مع حكام الأندلس إلى وجود نقل تجاري بين بيزا والأندلس في القرنين الثاني عشر وأوائل الثالث عشر، ولكن لا توجد سجلات منفردة لرجال الأعمال البيزيين المسافرين إلى شبه الجزيرة أو المغادرين منها قبل منتصف القرن الثالث عشر. ولكن في سنة 1245 اجتمع أربعة عشر تاجراً بيزياً في مالوركا مع أموالهم لاستئجار مركب يعود إلى تاجر لومباردي Lombard. وتغدو سجلات بيزا التجارية مع كتلونيا وباليريك غزيرة في نهاية القرن الثالث عشر[101]. وهناك وثائق من مدن إيطالية وفرنسية ولكنها هي الأخرى غير واضحة. وتتضمن وثائق من سافونا طلباً من سنة 1183 سُمح فيه للوكيل أن يذهب حيثما يريد باستثناء برفانس وكتلونيا (لعل الرحلات إلى هذين المكانين كانت مألوفة)، كما تدل شحنة من ست قطع من الجلد القرطبي مرسلة من سافونا إلى جنوى قبل

---

(100) Drua and Montanara: Giovanni de Guiberto, p.221, #470; p.230, #494. Mabilia: ASG Cart. 4,110v.

وانظر حول نساء جنوى

G. Pistarino, "Le donne d'affari a Genova nel secolo XIII," Miscellanea di storia italiana e mediterranea per Nino Lamboglia. Genoa, 1978 pp. 157-69.

(101) D. Herlihy, Pisa in the Early Renaissance. New Haven, 1958, pp. 171-3, 177.

ثلاث سنوات على وجود اتصالات تجارية مع شبه الجزيرة[102]. وتتضمن سجلات الحقوقي مارتين من سافونا Savonese في أول القرن الثالث عشر عقوداً قليلة للسفر إلى باليريك، بما في ذلك عقدان إلى إيبزا في الأعوام 1203 و 1205، ولكن أياً من هذه المراجع لايقول لنا المزيد حول التجار العاملين من مدينة سافون[103]. وهناك عقود من مرسيليا، كتبت في وسط القرن الثالث عشر، تذكر أيضاً بضائع إيبرية (تتضمن رقيقاً أبيض من مسلمين وقرطبيين ومن ألوم (alum) قادمة خلال المدينة، ولكن لا تذكر شيئاً عن التجار الناقلين لهذه البضاعة[104].

ولم يكن التجار الإيطاليون والفرنسيون، المسيحيين الوحيدين في أعمال التجارة في أسواق الأندلس في القرن الحادي عشر والثالث عشر. فقد نقل القشتاليون وتجار آخرون من داخل مملكة إسبانية البضائع إلى الأندلس، على الرغم من أخطار السفر البري خلال حدود إيبريا. وتصف قائمة بورتازجو أو التعرفة في توليدو/طليطلة مؤرخة في 1137 مكوساً مستحقة من تجار مسافرين من تلك المدينة إلى الأندلس، وقوائم تعرفة أخرى من صكوك مدنية من المرحلة نفسها تدل على مواد، وخاصة الأنسجة المستوردة من أرض العرب «تيرا دي موروس Tiera de moros[105]» إن نفوذ عملة فيوروكيونكا Fuera of Cuenca قد سمح للمدينة في عهد الفونسو الثالث بين 1177 و1189، أن تطرح مشكلة كيفية إثبات أن بعض أنواع البضائع قد

---

(102) A. Cumano, Il Cartulario di Arnaldo Cumano e Giovanni di Donato, Savona 1178-1188. ed. L. Balletto, Rome, 1978, p. 561, #1118; p. 336, #618.

(103) Martin of Savona, Il Cartulario del notaio Martino, Savona, 1203-1206. ed D. Puncuh, Genoa, 1974, p. 100, #277; p. 122, #365. # 440, 805, 808.

يوجد عقود إلى ميلونيكا (غالباً مالوركا).

(104) L. Blancard, ed., Documents inédits sur le commerce de Marseille au moyen âge. Marseille, 1884-5, I, pp. 58-9, 63-4, 161-2; II, pp. 268, 313, 317, 326; III, pp. 196-203.

(105) T. Munoz. ed, Colección de fueros municipales. Madrid, 1847, reprint 1971, I, p. 375. for other fueros, see J.L. Martin, "Portazgos de Ocaña y Alarilla," AHDE 329, 1962, p. 525.

ابتيعت من «بلاد مراكش أو العرب in the Land of the Moors»، حيث تخضع لرسوم مختلفة عن البضائع المحلية[106]. وبما أن منشأ البضاعة هو المشكلة وليس صاحبها التاجر، فيبدو أن الأخير كان مسيحياً. وقد طرحت مثل هذه المشكلات في التشريع الاقتصادي في محكمة/كورت طليطلة سنة 1207 الذي دعم رقابة السعر المحلي على التجار المسافرين من طليطلة لشراء البضائع من مناطق أخرى. وحُرّم على تجار طليطلة استيراد الأنسجة من ممالك مسيحية أخرى، ولكن سمح لهم باستيراد هذه البضائع من خلال جبال البيرينيه أو من بلاد العرب/المور[107]. وعلى الرغم من أنشطة المناطق الداخلية، كان التجار القشتاليون يلقون بظلهم على زملائهم الكتلانيين والأراجونيين من خلال مغامراتهم البحرية. وكان تجار كرون (تاج) أراجون قد دُعموا إثر فتح مالوركا 1229 ـ 1230 وبلنسيا سنة 1238 وحصلوا على مراقبة الطريق التجاري للجزر route des îles، ولكن مراكب كتلان تاجرت مع الجنوب سابقاً، كما يظهر في عقد تجاري مؤرخ في 1211 من أجل رحلة بحرية بين برشلونة وإسبانيا[108].

كما ساعدت تشريعات الحماية تجارة كتلان. فعلى سبيل المثال، أصدر جيمس الأول قراراً في سنة 1227، يقضي بأن التجار الأجانب لا يستطيعون شحن البضائع خارج برشلونة، إذا رغب تاجر كتلاني أن يقوم

---

(106) Fuero de Cuenca. ed A. Valmaña Vicente, Cuenca, 1978, pp. 268-9.

وقد أصبحت فيورو Fuero نموذجاً من عقود الامتيازات المتأخرة.

(107) يمكن أن يشير إلى بلاد اسلامية أخرى وأفضل ما يناسب ذلك هو الأندلس.

F.H. Hernández, "Las Cortes de Toledo de 1207," Las Cortes de Castilla y León en la Edad Media. Valladolid, 1988, p. 244.

(108) S. Bensch, "From Prizes of War to Domestic Merchandise: Slaves in the Towns of Eastern Iberia,"

بحث غير منشور مقدم إلى ندوة أكاديمية العصور الوسطى في Princeton, NJ, May, 1991, p. 6.

بالرحلة[109]. ويبدو أن بعض التجار كانوا يرغبون بذلك، وقد أبحر مركب تاجر كتلاني نحو إشبيلية في العام نفسه، ولكنه تعرض لهجوم القراصنة من مالوركا وهو في طريق العودة[110] وفي سنة 1231، سمح عقد من فيش لتاجر شريك أن يسافر إلى مورسيا وبالنسيا وسبتا، وعندما منح جيمس الأول لودا Leuda لقرية تماريت Tamarit في سنة 1243 فقد تضمن ذكر المراكب المسافرة إلى الأندلس مع البضائع[111]. ويبدو أن توسع التبادل التجاري الكتلاني مع الأندلس قد خلق خلافاً، بعد أن اشتكى البابا جورج 11 في سنة 1237 من أنه على الرغم من تحذيرات ثلاثة ظل التجار الكتلانيون يهربون البضائع إلى اپيزا، ومنها تصل إلى الأندلس[112]. وظهر التجار الكتلانيون أيضاً في سجلات عدلية من مدن إيطاليا وجنوب فرنسا وربما قدم هؤلاء التجار قناة لتصدير البضائع الأندلسية إلى أسواق أوروبا. وفي سنة 1248 قبل أرنولد Arnold وهو «كتلاني من تورتوزا» أن ينقل L14 ليرة بالعملة الجنوية إلى كتلونيا، وفي النهاية، فإن ما ينوف على عشرة تجار من تورتوزا قد ظهروا في سجلات جنوى في هذه المرحلة[113]. وفي الوقت نفسه، تذكر

---

(109) G. de Reparez, "L'activité maritime et commerciale du royaume d'Aragon au XIIIe siècle," Bulletin hispanique 49, 1947, pp. 425-6; and A. Capmany y de Monpalau, Memorias historicas sobre la marina, comercio y artes de la antigua ciudad de Barcelona. new edn, Barcelona, 1961-3, II, pp. 12-13.

(110) A. Schaube, Handelsgeschichte der romanischen volker des Mittelmeergebiets bis zum ende der kreuzzuge. Munich-Berlin, 1906, p. 328.

(111) A. García, "Contractes comercials vigatans de principis del segle XIII," Ausa (Vich) 43, 1963, p. 336; M.D. Sendra Cendra, Aranceles aduaneros de la Corona de Aragon, siglo XIII, Valencia, 1966, p. 36.

(112) R.I. Burns, "Renegades, Adventurers, and Sharp Businessmen: The 13th century Spaniards in the Cause of Islam," Catholic Historical Review 58, 1972, pp. 359-60.

تم ترتيب السلم الزمني لنمو أراجون وكتلونيا تماماً في مكان آخر، انظر:

C.E. Dufourcq, L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siecles. Paris, 1966.

وأعمال أخرى للمؤلف ذاته.

(113) ASG 26/11, 140v.

سجلات التعرفة من سنة 1247 رسوماً مخفضة ممنوحة لتجار من كروان أراجون[114]. وتورد سجلات جنوية أيضاً عدداً من التجار الذين يحملون أسماء تبدو إيبرية الأصل (مثل كرتاجينيا Cartagenia أو برشلونيو Barcellonio). وعلى الرغم من ذلك فإن عقودهم لا تخص بالضرورة التجارة مع إسبانيا، فمثلاً ليس من الواضح إذا كان برنارد البرشلوني الذي يظهر اسمه في عقد من سنة 1191 كان قد توقف قليلاً في جنوى أو أنه تركها؟

يظهر شك مماثل حول أوبرتو فراريو Oberto Ferrerio من بلنسيا وابنه وليم، الذي يظهر في عدد من العقود الجنوية من سنة 1213، وحول أوجيرو دو كرتاجينيا Ogerio de Cartagenia، الذي ذكر في وصية من سافونا سنة 1179[115]. ويرينا الفحص الدقيق أن هؤلاء التجار لم يكن لديهم اتصالات مباشرة أو معاصرة مع المناطق الإيبرية، التي يشتق منها اسمهم. وعلى الرغم من أن أبناء عشيرة قرطاجنة من أصول شبه الجزيرة، فقد تاجروا مع جنوى خلال سنوات وربما اعتبروا أنفسهم جنويين[116]. ويظهر مزيد من الصعوبات المعقدة في الاسم: بلنسيا Valencia، حيث أن لوبيز أوضح أنه من المستحيل التفريق باللاتينية بين بلنسيا Valencia الإسبانية الأصل وفلنسيا Valenza في (بيدمولت Piedmont)، وبلنسيا Valence في فرنسا[117].

---

(114) Herlihy, Pisa in the Early Renaissance, p. 202.

(115) Bernard: Guglielmo Cassinese, p. 38, #19. Obertus and William Ferrario: ASG Cart. 7, fols 100-10.

حيثما ذكر هذان الأخيران فهما ذات الشخصيتين الوكيلين في عقد،

Cartagena in 1253 (ASG Cart. 18/11 65v), Ogerius: Cumano, Cartulario, p. 266, #524.

(116) Krueger, "Genoese Trade with Northwest Africa," p. 394. Abulafia, The Two Italies, p. 200.

من جهة أخرى يعتبر قرطاجة اسماً إسبانياً حقيقياً

(117) R.S. Lopez, "Concerning Surnames and Places of Origin," Medievalia et Humanistica 8, 1954, p. 14.

إن ازدياد قوة المسيحيين التجارية بعد وسط القرن الحادي عشر قد تحدى التفوق التجاري الإسلامي واليهودي الأقدم في موانئ الأندلس. ويتضاءل ظهور المسلمين واليهود في الوثائق الاقتصادية بعد منتصف القرن الثاني عشر، على الرغم من استمرار بعض التجار غير المسيحيين بالتجارة مع شبه الجزيرة. وربما تاجر يهود من شمال شبه الجزيرة عبر حدود إيبريا، واستمرت الاشارات عن التجار اليهود بالظهور بانتظام في الـ فيوروس Fueros وفي مصادر مسيحية أخرى. وهناك مثلاً وثيقة من مدينة جاليسيا من سيلانوفا تذكر يهوداً يبيعون الحرير ومنسوجات أخرى في سنة 1184[118]. وتوحي هذه الاشارة إلى الحرير أن هؤلاء التجار اليهود كانوا إما أندلسيين أو أنهم على علاقة تجارية مع الجنوب. من جهة أخرى فإن النقص في تنوع الوثائق اللاتينية بين اليهود الأندلسيين وأفراد الطائفة اليهودية المحلية، يجعل تحديد امتداد حضور يهود الأندلس في أسواق الشمال صعباً. وبسبب التضييق على حياة اليهود في الجنوب تحت حكم المرابطين فإن عدداً منهم، من التجار وغيرهم، قد تحركوا باتجاه الشمال بحثاً عن التحرر من الاضطهاد وعن فرص اقتصادية أفضل. ولعل تجار الحرير في سيلانوفا كانوا بين صفوفهم. ومع أفول النشاط التجاري اليهودي في الأندلس، فإن التجار اليهود من أصل أندلسي أو آخر، جاؤوا ليكون لهم دور مهم في أسواق إسبانيا المسيحية خلال آخر العصور الوسطى.

وقد تابع المسلمون العمل في تجارة الأندلس في القرن الثالث عشر على الرغم من ظهور المنافسين المسيحيين، وبعد توقف نشاط مواطنيهم اليهود. وقد ذكر عقد جنوي في سنة 1158 تاجراً يدعى ماراكسي Maraxi تعامل مع دينيا ومالوركا يوحي بأنه ربما كان مسلماً[119]. وكتب الإدريسي في

---

(118) A. Ballesteros y Baretta, Historia de España y su influencia en historia universal. Barcelona, 1920, II, p. 529; and I.F. Baer, A History of the Jews in Christian Spain, Philadelphia, 1961, I, p. 84.

(119) واعتبر أبو العافية أنهما عرب، Giovanni Scriba, Cartolare, p. 260, #487 "perhaps a Saracen" (The Two Italies, p. 229).

الوقت نفسه أن الأندلسيين كانوا يتاجرون مع ساليه Sale ومع موانئ مراكشية أخرى، وكانوا يوردون الزيت الأندلسي مقابل الحبوب. في حين كان تجار من بلاد الغرب المسلمة، بما فيها الأندلس، قد شوهدوا في أسواق الإسكندرية من قبل الرحالة اليهودي بنجامين الطليطلي في سنة 1165[120]. ولعل من هؤلاء الأندلسيين التاجر العالم أحمد بن مروان الذي ـ وفقاً لكاتب سيرته سلافي Silufi ـ رحل إلى الإسكندرية وأصفهان والعراق في هذه الفترة تقريباً[121]. وبالمثل فقد قدم ابن الأبّار معلومات عن خمسة تجار علماء آخرين جميعهم من أصول أندلسية عربية، توفوا بين السنوات 1184 و1245[122]. وذكر الشقندي Shaqundi الذي كتب بين 1199 و1212 مصادفة وجود شحنة تجارية مسلمة في ملقا[123]. ونعلم فيما بعد معلومات عن مرور بعض التجار مثل شقيق العالم أبي العباس من مورسيا الذي سافر إلى الشرق للحج مع عائلته في عام 1242. وقد غرق مركب بون Bone ولم ينج من العائلة إلاّ أبو العباس وشقيقه الأكبر التاجر. وقد ذهب الأخوة إلى تونس،

---

(120) Idrisi, Opus geographicum. III [Naples-Rome, 1972], p. 239; Benjamin of Tudela, "The Itinerary of Benjamin of Tudela," trans. M.N. Adler Jewish Quarterly Review 18(1906), p. 686.

يتضح من مقطع النص أن بنجامين ليس تاجراً يهودياً.

(121) Silafi, Akhbar wa tarājim andalusiyya, ed. 'Abbas, Beirut, 1963 p. 21, #5 . متوفى (1180)

سلافي، أخبار وتراجم أندلسية. من المحتمل أن هذا التاجر عاش في زمن سابق ولكن سلافي لا يذكر تاريخاً لوفاته ويمكن أن يكون معاصراً له.

(122) Ibn al-'Abbar, Takmila ابن الأبّار تكملة.

ثلاثة تجار يحملون اسم الأنصاري، ولكن لا شيء عنهم في أماكن أخرى، فقد جاء واحد منهم إلى إشبيلية، وتوفي في سنة 1184 ن: p. 249, #803 وآخر في بلنسيا وتوفي سنة 1202، p. 274, #864 ؛ وبايزا وجان (وفاة 233) .p. 340, #993 ؛ وقد جاء التاجران الاخران من بلنسيا (وفاة 1225) 1810# p. 650، ومن ملقا (وفاة 1245) 1456# p. 519.

(123) Maqqari, Analectes sur l'histoire et la littérature des arabes d'Espagne. ed. R. Dozy, Leiden, 1855-60, II, p.148. هذا المقطع محفوظ في:

حيث تابع الأكبر منهم العمل في التجارة في حين أن الأصغر فتح مدرسة قرآنية[124].

كانت وثائق التجار الأندلسيين المسلمين نادرة بعد وسط القرن الثالث عشر كما سيتّضح في الفصل الأخير من هذا الكتاب، على الرغم من أن بعض المسلمين قد واصلوا التجارة في موانئ غرناطة الناصرية وبصورة أقل في كرون أراجون. وظهروا من خلال التجارة الدولية للأندلس المسيحية الجديدة. وبخلاف التجار اليهود، إذ يبدو أن المسلمين الأندلسيين وجدوا صعوبة حقيقية في إعادة بناء أعمالهم تحت الحكم المسيحي. وعوضاً عن ذلك، فإن معظم المسلمين قد أوقفوا مصالحهم في مجال التجارة المحلية مثل النقل بين غرناطة وبلنسيا، أو أنهم حولوا نشاطهم التجاري إلى الموانئ الإسلامية في شمال أفريقيا وشرق المتوسط والمحيط الهندي. وقد حدث خروج التجار المسلمين من تجارة إيبريا في الوقت نفسه، مع التطورات التجارية الأخرى في شبه الجزيرة، حيث لم يفرض على المسلمين واليهود مواجهة تعاظم منافسة التجار المسيحيين وحسب بل أخذ الحكام المسيحيون دورهم في النشاط الاقتصادي لممالكهم أكثر مما كان عليه أسلافهم المسلمون. وقد سبق ورأينا كيف أن جيمس الأول صاحب أراجون قد عزز حقوق التجار الكتلانيين في برشلونة. إن هذا النمط من التشريع قد شجع بعض المجموعات من التجار على التوسع على حساب آخرين. وفي جنوب قشتالة (حتى في غرناطة المسلمة)، سيطر التجار الجنويون على النشاط التجاري معظمه بفضل الإمتيازات التجارية الممنوحة لهم من قبل كرون قشتالة. وفي الشمال سيطرت طبقة تجارية قشتالية حديثة الولادة على التجارة خلال موانئ الإطلنطي. في حين كان الكتلانيون في شرق شبه الجزيرة قد بنوا إمبراطورية تجارية منافسة لتلك الإيطالية.

---

(124) G. Elshayyal, "The Cultural Relations between Alexandria and the Islamic West in al-Andalus and Morocco," Madrid: MDI 16(1971), p. 65.

ومع هذه التبدلات في جمهور التجار الايبريين في القرن الثالث عشر، فقد بدأت التجارة في شبه الجزيرة بالتحول بعيداً عن التوجه المتخصص في البحر الأبيض المتوسط إلى التجارة في مجال أوروبا والأطلنطي. وفي هذه الأثناء، فإن جنوب البحر الأبيض المتوسط وطرق تجارة الشرق والغرب التي كانت بالغة القوة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر بدأت بالإنحلال مع إنحسار الشبكة التجارية اليهودية والإسلامية وظهور طرق الشحن البحري المسيحية على طول الشواطئ الشمالية. وقد تضافرت هذه التوجهات لتعلن خلق محاور جديدة، بصورة كاملة للمشاركة الإيبرية في تجارة البحر الأبيض المتوسط وأوروبا. إن إعادة تنظيم شبكة التجارة الإيبرية في آخر العصور الوسطى، التي أدت إلى سيطرة التجار المسيحيين على تجارة شبه الجزيرة، ستناقش في الفصل التاسع.